

## الفصل الخامس

### النهضة الأوربية

#### ١ - الإسلام في إسبانيا

لم يطلب الإسلام من الإسبان الذين دخلوا فيه إلا النطق بالشهادتين لقاء إعفائهم من الجزية والضرائب والجزايات ، وترك للنصارى حرية الدين والشريعة والحكم ، ما عدا أيام نفر من الخلفاء خضعوا لسلطان الفقهاء أو الأمراء الذين حملتهم الأغراض على التشبه بهم (١) .

واستعان الفاتحون أول ما استعانوا باليهود فولوهم كبرى المدن وقربوا المتعلمين منهم . فاستوزر عبد الرحمن الناصر ومن بعده الحكم الثاني الطيب حسداى بن شبروط ( ٩٤٥ - ٩٧٠ ) زميل الزهراوى ، والمعاون على نقل كتاب ديوسقوريدس فى العقاقير الطبية ، ثم استوزر الأمير حبوس فى غرناطة الأديب صموئيل بن نجدلة ( ١٠٢٤ ) مؤلف كتاب القصص اليهودى ، وصاحب أشهر المكتبات المدودة (٢) . فاطمأن اليهود بعد اضطهاد القوط إلى سماح الحكام المسلمين ، وأقبلوا على لغتهم : قواعد ومفردات وعروضاً وثقافة ينحون نحوها ، ويوازنون بها لغتهم لتحقيق تطورها التاريخى ، ويفيدون من علم الكلام فى إرساء الدراسات التلمودية ، يأخذون بفلسفتها فيشتهر منهم : ابن جبيرول ( ١٠٢١ - ١٠٥٨ ) الذى تأثر فى قصائده العبرية بالشعر العربى ، وضمن فلسفة ابن مسرة فى كتابه الرئيسى ينبوع الحياة ( وقد ترجم إلى اللاتينية ١١٥٠ ، ثم ترجمه مونك بالفرنسية ) وإصلاح الأخلاق ( نشره متناً وترجمة إنجليزية ستيفن س . ويز نيويورك ١٩٠٥ ) وموسى بن ميمون ( المتوفى ١٢٠٤ ) الذى احتل المقام الثانى بعد ابن رشد مواطنه ومعاصره ، وصنف بالعربية فى الطب والفلسفة ما خلا كتاب دليل الحائرین ، وقيل دلالة الحائرین ( حقق ترجمته جو يستينيانى ، باريس ١٥٢٠ ونشره مونك بحرفه العبرى وترجمة فرنسية ، فى ثلاثة أجزاء ، باريس ١٨٥٦ - ١٨٦٦ ) وتأثر

(١) الفصل الثالث ، فتح الإسلام .

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ج١ ، ورقة ١٣١ .

بفلسفته ألب الكبير ، وخصمه دونس سكوتوس ، ثم سينيوزا ، وكنت ، ثم أصبحت شروح ابن رشد على أرسطو منذ القرن الثالث عشر أساً للمذاهب اليهود في التوفيق بين الفلسفة المشائية وبين العقيدة الموسوية (٣) .

ومن العلماء : يوسف بن حسداى واضع الشرح على كتاب أبقراط بعنوان شرح الفصول ، ومن النقلة : يوسف قمحى ( ١١٩٠ ) مترجم المرشد إلى واجبات القلب للفيلسوف بهية من العربية إلى العبرية ، وإبراهام بن حسداى مترجم كتاب التفاحة المنسوب إلى أرسطو ( ثم ترجمه إلى اللاتينية لوزيوس ١٧٠٦ ) (٤) ، ويهوذا الحريرى ( المتوفى ١٢١٨ ) مترجم كتاب السياسة لأرسطو ( وقد نشرت الترجمة في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ١٩٠٧ ) وكتاب آداب الفلاسفة محمد بن على . . . الأنصارى ( نشر الترجمة لوفنتال في كتاب حكم الفلاسفة ، فرانكفورت ١٨٩٦ ) وكتاب النفس لأرسطو ( وكان قد نقله من اليونانية إلى السريانية حنين بن إسحق ومن السريانية إلى العربية ابنه إسحق ، وما زال المخطوط في تورين تحت رقم ١٥٧ ) ، فحفظت هذه الترجمات مع مثيلاتها ، في أوروبا ، أصول مصنفات العرب التى بددت معظمها الفن والانتقالات !

(ب) وتزوج العرب الذين دخلوا الأندلس من غير نساء - النصرانيات : فعرف زوجة موسى بن نصير ، وكانت أرملة الملك رودريك ، بأم عاصم ، وولد عبد الرحمن الناصر لأم نصرانية ، وزوج المعتمد إحدى بناته ألفونسو السادس ملك قشتالة . وتشبه المسلمون بحكامهم حتى غلب على المعروفين منهم باسم مور ومعناها بالفينيقية غربى - الدم الإسباني . ولطالما اشترك المسلمون والنصارى ، في الأعياد الإسلامية والمسيحية واستخدموا المبنى الواحد مسجداً وكنيسة . ما عدا أيام الخلفاء الذين خضعوا لسلطان الفقهاء ، فقد كان بعضهم يوجب على النصارى التخلي عن أسمائهم النصرانية على حين يقرهم البعض الآخر على ترك تشبههم بالمسلمين والتسمية بأسمائهم (٥) . ومن وجوه النصارى الذين تسماوا بأسماء عربية : ابن العزيز الجهمى ، وخالد سلمان ، وصالح بن عمر ، والأسقفان : ربيع بن زيد ، والأصمغ بن عبد الله بن نبيل (٦) .

Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe. (٣)

Cl. Boeumeker, Sitz Münch, Ak. 1920. (٤)

(٥) بدر الدين العيني ، تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر .

Dozy, Hist. des Musulmans en Espagne, t 1, p 181. (٦)

وقد يسر لهم الخلفاء إحراز المناصب في السفارات وقصور الخلافة وقيادة الجيوش : فعندما ردت قرطبة على بغداد في أسفارها إلى الدول الأوربية بعث عبد الرحمن الثاني يحيى بن الغزال إلى ملك النورمان والدانمرك (٨٤٥) ، وتبادل عبد الرحمن الناصر السفارات والقسطنطينية (٩٥٠) ، وأوفد أسقف قرطبة ريسيموندو المشهور عند العرب بريج بن زيد إلى أوتو إمبراطور ألمانيا ، واحتى بسفيره الأسقف جرتر (٩٥٣) ففضى في قرطبة ثلاث سنوات تعلم خلالها العربية ، ورجع منها بالخطوط النفيسة . ووفد على بلاط الخليفة سفراء بيزنطية وألمانيا وإيطاليا وفرنسا<sup>(٧)</sup> .

وفى بلاط الخلافة يقول المقرئ : وتقدم الحكم الثاني باستدعاء أردون (ابن ألفونسو) وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة يؤنسونه ويصرونه ، فيهم : وليد بن خيزران قاضى النصارى بقرطبة ، وعبيد الله ابن قاسم مطران طليطلة وغيرها<sup>(٨)</sup> . ومن تولى قيادة جيوش المسلمين السيد ، وقد تلقب به دون رودريك الذى قضى أجمل أيامه فى خدمة عرب سرقسطة عندما أقصاه ألفونسو السادس (١٠٨١) ، ثم قاتل المسلمين إلى جانبه .

أما الثقافة العربية فيقول البارو القرطبي فى كتابه الدليل المنير : وأقبل أهل مالقة على مصنفات المسلمين فى الأدب والفقه والفلسفة تتقفاً بثقافتها لا للرد عليها ، وبذلوا أموالاً طائلة فى تأسيس مكباتها . وينطبق قوله على المستعربين فى الأندلس قاطبة الذين جروا على عادات المسلمين فى نظام الحرم وحنن الأولاد وإتقان العربية ونظم القصائد بها واستعمال حروفها لكتابة اللاتينية ، ثم على الخاصة من النصارى وقد آثروا أسماء العرب ولغتهم وثقافتهم ، وفى طليعة هؤلاء رجال الدين فاختلفوا إلى مدارس المسلمين ومجامعهم ومكباتهم ، ثم قبعوا فى أديارهم ينقحون ذلك التراث ويترجمونه ويفسرونه ويصنفون فيه ويذيعونه بين الرهبان وطلاب العلم ، فيتشر انتشاراً سريعاً بفضل مدارسهم فى أديار : ريبول - حيث تعلم الأب جرير ، وترجم إلى اللاتينية من مخطوطات مكبتها المصنفات الرياضية والفلكية كالزيج المنصورى - وسان كوجات ، وسان ميليان ، وثيلا نوبا ، وسائر مدارس المستعربين فى قرطبة . ومنذ القرن العاشر حملت الكاتدرائيات العبء الأكبر عن الأديار ، فداعت شهرة مدارس : أويديو ، وليون ، ويك ، وخيرونا ، وبرشلونه ، وسانتياجو دى كويو ستيل . وقامت مثيلات لها فى : باريس ، وشارتر ، وأورليان ، وتور ، ولاؤن ، وريمس ، وفى كبرى

(٧) ابن عذارى ، البيان المغرب عن تاريخ المغرب ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

(٨) المقرئ ، نفع الطيب ، ج١ ، ص١٨٠ .

مدن إيطاليا وإنجلترا وبلجيكا وغيرها .

ثم أنشأ الرهبان الفرنسيسكانيون دير عكا ( ١٢٢١ ) وعلم العربية فيه الأب روبرك . ومدرسة ميرامار ( ١٢٧٦ ) ، فأشرف عليها رايوندو لوليو خلال عشر سنوات ، وتعلم فيها العربية أحد عشر راهباً ، وقد عاون لوليو رايوندو مارتيني الدومينيكي واستأنف نشاطه دى ليرا الفرنسيسكاني في القرن الرابع عشر . وقرر مجمع طليطلة ( ١٢٥٠ ) الاتفاق على ثمانية من الرهبان الدومينيكيين ، على رأسهم رايوندومارتيني كانوا قد انقطعوا لدراسة العربية ، وصنف أحدهم أول معجم عربى إسباني ( ١٢٣٠ ) خلا نفر من زملائهم أرسلوا إلى باريس لتعلم اليونانية والعربية والعبرية فيها ( ١٢٥٥ ) ، ثم كلفهم مجمع بلنسية ( ١٢٥٩ ) تأسيس مدرسة للعربية والعبرية في قطلونيا ( ١٢٦١ ) ، وقد صنف أحدهم غليوم الطرابلسي كتاباً عن الإسلام ، أهدها إلى من أصبح البابا غريغوريوس ( ١٢٧١ - ١٢٧٦ ) ، وألف دى موتي كروسيس كتاباً عن عقائد تركيا والتتر .

وانتشرت مدارس الرهبان العربية في أشيلية ( ١٢٥٠ ) وبرشلونة ( ١٢٥٩ ) وميورقة ( ١٢٧٦ ) وبلنسية ( ١٢٨١ ) وجانيفا ( ١٢٩١ ) وقد تطور بعض مدارس الكاتدرائيات إلى جامعات ونالت على غرارها حقها المعلوم في مساعدة الباباوات والملوك ، ومن أشهرها : جامعة بلنسية ( ١٢٠٨ ) التي انتقلت إلى صلمنكة ( ١٢٢٧ ) ، ومعهد الدراسات الشرقية في طليطلة ( ١٢٥٠ ) وجامعة بالمبا ( ١٢٨٠ ) وجامعة لشبونة ( ١٢٩٠ ) وجامعة لريدا ( ١٣٠٠ ) وجامعة بلد الوليد ( ١٣٠٤ ) .

وكان دون رايوندو الأول رئيس أساقفة طليطلة ( ١١٢٦ - ١١٥١ ) قد أنشأ فيها مكتب المترجمين ( ١١٣٠ ) فنقل المسلمون واليهود والنصارى إلى اللاتينية أمهات كتب الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة ، ومن أشهرها : أورجانون أرسطو بشروح الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي ومختصراتهم له . ومؤلفات أقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط ، بشروح الخوارزمي والبتاني والبطروجي ؛ كما نقلوا الكثير من مصنفات علماء العرب واليهود ومن أشهر المترجمين : جونثالث ، ويوحنا بن داود الإسباني ، ويوحنا الأشبيلي ، وروبرت أوف تشتسر ، وهرمان الدلاطي ، وأوجودى سانتلا ، وأفلاطون التيفولي ، وساراشل وغيرهم . وبفضل مكتب الترجمة والمدارس والمكتبات ظلت طليطلة طوال قرنين ملتحق طلاب العلم ، من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا يقدون عليها ويهلون من الثقافة العربية فيها ، ثم يرجعون إلى

بلدانهم ، فيذيعونها بين أهلها .

ولم يقف رجال الدين والمثقفون عند الترجمة من العربية ، بل نقلوا إليها ، وكتبوا بها وصنفوا فيها : فنقل من اللاتينية إلى العربية يوحنا رئيس أساقفة أشبيلية التوراة ( ٧٢٤ ) والأب فيسنتي ثمانية أجزاء في قوانين الكنيسة ، وأهداها إلى الأسقف عبد الملك في أبيات من الشعر العربي الرصين مطلعها :

كتاب لعبد الملك الأسقف الندب جواد نبيل الرفد في الزمن الجذب  
ونقل إسحق فلاسكز إنجيل لوقا ( ٩٤٦ ) .

وصنف ربيع بن زيد الأسقف كتاباً في تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان ، وآخر بعنوان الأنواء . ووصف أسقف جرتز رحلته إلى قرطبة في كتاب نفيس . واستمروا على ذلك حتى بعد أن استعاد ألفونسو السادس طليطلة ( ١٠٨٥ ) وغيره غيرها : فألف بدرو ألفونسو ( ١٠٦٢ - ١١١٠ ) كتاباً بالعربية عنوانه : تعلم رجال الدين ، ثم ترجمه إلى اللاتينية ، ومنها نقل إلى لغات كثيرة ، وقد طواه على ثلاث وثلاثين قصة شرقية اقتبسها عن حنين بن إسحق ، ومباشر ، وكليلة ودمنة ؛ كما ألف محاورات مع اليهود ورسائل فلكية وخرائط جغرافية حققها فاليكروسا ( تريبز ١٩٣٧ ) وصنف جونثال - إلى جانب ترجماته في مكتب طليطلة - عدة كتب من أشهرها : خلود الروح معتمداً على ابن سينا ، وابن جبيرول . وحول فيض العالم ناحياً فيه نحو الفلسفة الإسلامية . وفي فروع الفلسفة متأثراً بالفارابي . وأرخ رودريك كزيمينس رئيس أساقفة طليطلة ( ١١٧٠ - ١٢٤٧ ) لإسبانيا من البدء إلى عام ١٢٤٣ ( فترجمه الأب ريبيرا دي بريخا إلى القطلونية سنة ١٢٦٦ ، وترجمه دى هينوخوسا أسقف بروجس ١٣١٣ - ١٣٢٧ إلى القشتالية ) والتاريخ العربي من النى إلى الموحدين ، وفيه مختصر عن كتاب الرازي ( والكتابان مطبوعان في فرانكفورت ١٩٠٣ ) ، وقد ظهر أثر الرازي في كتاب التاريخ العربي الذي صنفه بدرو دل كورال .

(ج) وعندما طفق ملوك إسبانيا يستعيدونها من المسلمين لم يعطوا تراثهم أو يكتفوا بما

نقلوه منه ؛ وإنما عمدوا إلى إقامة حكمهم على أساسه والمفاخرة به :

فكان بدرو الأول ملك أراغون لا يحسن من الكتابة إلا العربية . وجرى ألفونسو السادس على غرار أسلافه ، وتسمى بإمبراطور العقيدتين الإسلامية والنصرانية ، وجعل من طليطلة منارة معارف زادت تألقاً أيام ألفونسو السابع باعتصام العلماء بها من تعقب الموحدين . واحتفظ ألفونسو الثامن بالكتابة العربية على نقوده ، وكانت المسكوكات الإسلامية

والفرنسية عملة ممالك النصارى طوال أربعمائة سنة .

وفي عهد ألفونسو العاشر (١٢٥٢ - ١٢٨٤) الملقب بالحكيم بلغت الثقافة الأوج ، فأنشأ معهداً للدراسات العليا في مرسية (١٢٦٩) ، واختار له أعلام المسلمين والنصارى واليهود ، وعلى رأسهم أبو بكر الرقوطى ، ثم نقله إلى أشبيلية وألحق به مجمعاً علمياً لمزج الحضارتين الإسلامية والمسيحية في حضارة إسبانية موحدة ؛ كما حافظ على طابع طليطلة في مركزها الثقافى العالمى ، وجمع حوله العلماء وعهد إليهم بالترجمة والتصنيف ، وكان يشرف بنفسه على التوجيه والتحرير والتلخيص ، فترجم إلى الإسبانية : الإنجيل ، والقرآن ، والتلمود ، والقبالة ، وسر الأسرار المنحول لأرسطو ، ثم كتاب كليلة ودمنة (١٢٥١) - من ترجمة لاتينية لترجمة عبرية لترجمة فهلوية للترجمة السنسكريتية المزعومة ، ثم ترجم إلى أربعين لغة ، والترجمة الإسبانية نشرها اليماني (١٩١٥) - وألف ليلة وليلة ، وكتاباً في التنجيم لعبيد الله محمد الأستيجي ؛ وصنف التاريخ العام باسمه ، وقد ضمنه تاريخ إسبانيا للأسقف رودريك الطليطلى وبعض الأحداث والقصص والأساطير (١٢٦٠ - ١٢٦٨) وكتاب فن الشطرنج (نشره أرنالد شتايجر ، زوريخ ١٩٤١) وديوان التسايح ، وقد طواه على ٤٥٠ قصيدة نظمها بالقشتالية والجيليقة البرتغالية وزينه ب ١٢٢٦ نقشاً (١٢٨٠) واستعان بقوانين القوط والرومان والكنيسة في وضع مجموعة من الشرائع ما زالت أسساً للتشريع الإسباني ، وأنشأ مكتباً لتصنيف كتب علم الفلك المترجم منها كأسطرلاب مسلمة المجرىطى ليوحنا الأشبيل ، وزيج البتاني لأفلاطون التيفولى (١١٤٠) وغيرها ، وأمر بترجمة ما تبقى من أمهاتها ، فتجمعت لديه مصنفات الزرقانى ولمسلمة المجرىطى : غاية الحكيم ، وشروحه على النظام الرياضى لبطليموس التى نقلها رودلف دى بروجس ، ورسائل قسطا بن لوقا ، وعلى بن خلف وغيرهم .

وكان الملك يراجع ما أنجز من ترجماتها وينظمه ويختصره ويصلح من أسلوبه ، ويشرف في الوقت نفسه على صنع الآلات والأجهزة لعلم الفلك لم تكن معروفة من قبل ، فجمع ذلك العلم في :

١ - الكتب الأربعة في نجوم الفلك الثامن .

٢ - الكتب الألفونسية في أجهزة علم الفلك وأدواته وكتبه (البندقية ١٤٨٣ -

١٤٩٢) .

٣ - كتاب الزيج الألفونسى في دراسة التقاويم .

وقد نشر هذه المجموعة مانويل ريكواي سينوباس M. R. Y. Sinobas في خمسة أجزاء (ملريد ١٨٦٣ - ٦٧) ، وشجع دون فادريك أخو ألفونسو العاشر على ترجمة مجموعة السندباد من ألف ليلة وليلة ، فترجمت إلى الإسبانية بعنوان : مكاييد النساء وحيلهن (١٢٥٣) ، ثم نشرها بونيلا في مجموعة المكتبة الأندلسية المجلد الرابع) وترجمها دياجو دي جانيثارا في القرن الخامس عشر (مجموعة قصة علماء رومة السبعة) وماركوس بيرث (١٥٣٠) وبندرو دي لافيرا (١٥٧٣) .

## ٢- من إسبانيا :

ولم يقتصر أثر التراث العربي على العلوم المتقدمة أو يقف عند حدود إسبانيا ، وإنما تجاوزها إلى التغلغل فيها لأوروبا من قصص وأساطير ومقامات وشعر وموسيقى وغناء : فغلب على قصص دون خوان مانويل الطابع العربي على الرغم من صياغته في أسلوب مبتكر ، وأشار الأب بواليسوعى إلى وجه الشبه بين قصة حى بن يقظان وبين الفصول الأولى من الكريستيبكون لبلتازار . وعندما ترجمها أوكلى إلى الإنجليزية (١٧٠٨) أوحى إلى ديغويه بقصة روينسون كروزوه . وكان سرفتس (١٥٤٧ - ١٦١٦) قد قضى ردهاً من الزمن سجيناً في الجزائر ، فتأثر بها في قصته دون كيشوت وقال عنها كارادى فر : إنها جديرة بأعظم نوايغ الفلسفة (٩) . ورد جارنوى معظم الأفاصيص التي بنت عليها فرنسا فنا إلى أصل شرقى (١٠) ، وهناك مجموعة من الحكم والأمثال صنف فيها الإسبان على غرار العرب : فالأقوال الذهبية مقتبس من كتاب الأمثال لابن فاتك المصرى ، وكلمات الفلاسفة وحكمهم وهو أول كتاب نشر في إنجلترا ، شبيه بمختار الحكم لابن فاتك المذكور . والأمثال الطيبة مستقى من حكم الفلاسفة لحنين بن إسحق (وقد ضاع أصله العربي وسلمت ترجمته العبرية فنقلها إلى الألمانية لوفتال ، فرانكفورت ١٨٩٦) ونصائح الملك سانشو ووثائقه مستخرج عن واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى بن يوسف ملك تلمسان ، وكليدة ودمنة كانت من مصادر لافونتين كما اعترف هو نفسه .

وفن الموشحة بما فيه من تعدد القوافي والوزن وتضمين الغزل والوصف والتشبيب - ترك في إسبانيا وأوروبا أثراً بالغاً : فنظم خوان رويث نائب أسقف هيثا ديوان الحب الطاهر متأثراً

Carra de Vaux, Les Penseurs de L'Islam, t. IV, p. 64.

(٩)

Jeamoy, Les Origines de la poésie lyrique en France et au Moyen Age, p. 11.

(١٠)

بالمقامات وفلسفة ابن حزم والأفلاطونية الحديثة ، فجاء أنفس ديوان في الأدب الإسباني يومئذ . وقد أثبت ريبيرا أى طراجو في بحثه شعر ابن قزمان - أن الشعر الغنائى الذى عرف في فرنسا باسم الشعراء الجوالين « التروبادور » وانتقل منها إلى ألمانيا وأطلق عليه مايسترسنجر - الشعراء المنشدين ( ١١٣٠ - ١١٥٠ ) نمت جذوره في تربة إسبانية من الزجل العربى بالأندلس (١١) ، واعترف لانسون بأن الغزوة العربية جاءت الغرب بكثير من علوم الحساب والطب والفلسفة . . . وبشعر كثير الصور غذى الشعراء الجوالين ، وبقصاص ترك أثره في الأمثال والروايات (١٢) . ففي فرنسا تأثر به الكونت دى بواتيه ( ١١٠١ ) - الذى اشترك في الحملة الصليبية الأولى وتغنى بنصرها ، وكان ملحداً فطرده الأسقف من الكنيسة ، ثم التقيا فقال له : اغفرلى وإفقتلك . ولما مد الأسقف له عنقه لوى عنه مجيئاً : لست أجلك بالقدر الذى يكفى أن أبعثك إلى السماء - ثم عدل فن الموشحة ( ١٠٧١ - ١١٢٧ ) .

وظهر أثر بواتيه وعليه الطابع العربى ، في الشعراء أمثال : الراهب دى مونتودون ، وريينو ، وماجرية ، وماركبرى . وتجاوز بواسناد الزجل فقال : لم تكن ملحمة رولان ، وهى أغان شائعة منذ القرن التاسع جمعت ( ١١٣٠ ) واعتبرت أسمى تراث في الأدب الأوربى يوم ذلك ، إلا صدق لاشترك الفرنسيين في الحروب بين المسلمين والنصارى فى أراغون (١٣) ، ثم أثر الشعر القصصى الفرنسى فى الشعر الإسباني ، فنظمت ملحمة السيد ( ١١٦٠ ) ، وفى الشعر الإنجليزى عندما انتقلت مارى الفرنسية إلى إنجلترا فى عهد هنرى الثانى ، فنظمت عدداً من القصص شعراً : كقصص طروادة فى ثلاثين ألف بيت ( ١١٨٤ ) ، وقصة الإسكندر فى عشرين ألفاً ( ١٢٠٠ ) ، وقصة بروت فى اثنين وثلاثين ألف بيت ( ١٢٠٥ ) ، وتبعها شعراء عديدون .

وظهرت الموشحة فى ألمانيا فى نشيد نييلخن ( ١٢٠٠ ) وفى شعر دردامن وأتباعه ، وفى إنجلترا فى شعر دى مريل ونظرائه ، وفى البرتغال فى شعر ديونيس وأشباهه ، وفى إيطاليا طبعت الموشحة بطابعها موضوعات الشقاء والحصام وأغانى المرافع ولاسيما فى مدائح دى تودى ، ومرقصات دى مديتشى .

ولم من العرب موسيقيون فى قصور ملوك قشتالة وأراغون حتى إذا ترجم أدلرد أوف باث

(١١) بيدال . الشعر العربى والشعر الأوربى ( الطبعة الثالثة : بويس آيرس ١٩٤٦ ) .

Lanson, Histoire de la Litterature française. (١٢)

Boissenade, De nouveau sur la chanson de Roland. (١٣)

رسالة الخوارزمي في الرياضيات وفيها قسم عن الموسيقى - عدت أقدم الرسائل التي أدخلت الموسيقى العربية أوربا ، ثم شاعت في الجنوب الغربي منها منذ القرن الثالث عشر موسيقى شعبية منبثقة من مصادر عربية انبثاق شعر الغزل الغنائي والتاريخي والملحمي .

وقد وضع الفونسو الحكيم ألحان تسايحه على أساس الموسيقى العربية ، وأصبحت آلات الطرب عربية بكامل أسمائها ، مثل : القيثارة ، والمزمار ، والعود ، والأرغن ، والبوق ، والنظير ، والطبل . وجل أسماء الأمكنة والبقاع والصناعة وأصناف الماعون ومرافق الحياة وبعض المصطلحات العلمية والأدبية والفنية في اللغتين الإسبانية والبرتغالية عربية صرف (١٤) ، وما زال فيها منها أربعة آلاف كلمة متداولة ، وانتقل إلى اللغات الأوربية من مصطلحاتها في الطب : كجلاب ، ورب ، وشراب ، وكحل ، وإينيق ، وفي علم الجبر : الجذر الأصم ، والصفر ، والتقوم ، وفي علم الفلك : العقرب ، والجدي ، والفرقد ، والسمنون ، والنظير والسمت .

وعبرت الثقافة العربية - بفضل الرهبان ولاسيما الملتحقين بدير كلوني ، واللاجئين إلى فرنسا - جبال البرانس والألب إلى فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا وغيرها ، ثم استقرت في أشهر مراكزها في فرنسا : وضعت تقاوم فلكية مبنية على أزياج طليطلة بمرسيليا ( ١١٤٠ ) وأنجز هرمان اللماطي ترجمة إصلاح المجسطي في تولوز ( ١١٤٣ ) ، وترجم إبراهيم بن عزرا المعروف بابن ماجد ( ١٠٩٠ - ١١٦٧ ) أحد شارحي التوراة ، ومدرس السامية في لندن ( ١١٥٨ ) - رسالتين في التنجيم لما شاء الله ، وشرح البيروني على زيح الخوارزمي ، في أربونه ( ١١٦٠ ) وصنف كتابين في الحساب . وهاجر ابن طبون ( المتوفى ١١٩٠ ) من الأندلس إلى جنوبي فرنسا ، وترجم مصنفات : سعدية جاؤن ، وابن جبيرول ، ويحيى بن لاوي .

وترجم موسى بن طبون ٣٠ كتاباً من العربية إلى العبرية في مرسيليا ( ١٢٤٠ - ١٢٨٣ ) أشهرها : كتاب الأصول لأقليدس ، والقانون الصغير لابن سيناء ، والترياق للرازي ، وثلاثة من مؤلفات ابن ميمون بينها الشرح ( ١٢٥٧ ) وشرح ابن رشد الصغرى على أرسطو ، وزاد المسافرين للجزار ، والعمل بالكرة ذات الكرسي لقسطا بن لوقا .

وترجم الطبيب شم طب في مرسيليا كتاب المنصوري للرازي ( ١٢٦٤ ) . وترجم يعقوب

(١٤) Dozy, Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe (Leyde 1869).

بن طبون حركة الكفاح من أجل ابن ميمون في مونييه ، وترجم عدداً من رسائل الفلك العربية إلى العبرية .

ودرست كتب الطب العربي في مونييه قروناً عديدة ، ومنها كتاب الحكم الذى شرحه أطباؤها : برتوليو البروجي ، وبيرانجه التومباوى ، وجيرال السولى . واشتهر مارتن دى سن جيل في أفينيون ( ١٣٦٢ ) بترجمته إلى الفرنسية أصول العلوم من اليونانية والسريانية والعربية والعبرية .

فهل كانت إسبانيا المورد الوحيد الذى نهلت منه أوروبا الثقافة العربية وأرست نهضتها عليها ؟

### ٣- من البرتغال :

منذ استقل العرب بما يطلق عليه اليوم جنوبي البرتغال نشروا فيه ثقافتهم ، ونبع منهم في الشعر : ابن عمار ، وابن عبدون ، وابن سارة ، وغيرهم ، وفي اللغة : الأعلم الشتمرى ، وابن السيد ، وابن السراج . وفي التاريخ : ابن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين ، وابن بسام صاحب الذخيرة . وفي الفلسفة : ابن السيد مصنف كتاب الحدائق ، وابن قسى مؤلف كتاب خلع النعلين - وما زال مخطوطاً - وأبو عمران المرتولى ، والعريانى أستاذاً ابن عربى أشهر متصوف في الإسلام .

وأبدع العرب في فن العمارة فاشتهر جامع لشبونة بقيابه ، وجامع مرتولا بمحراه - وما زال قائماً - وتغنى بقصر الشراييب في شلب المعتمد ، وابنه المعتد بالله ، ووزيره ابن عمار ، وابن اللبانة ، ومما خاطب به المعتد بالله ابن عمار عنه :

وسلم على قصر الشراييب عن فتى له أبداً شوق إلى ذلك القصر  
وأقام عمر بن الأفطس في قصره بياطرة قبل أن يتوج على بطليوس . وفي متحف لشبونة زخارف من قصور العرب وجوامعهم الدارسة ، وأحجار أثرية ، وشواهد قبور ، ورقم ، وقطع خزف ، ومجموعة نقود ، كما يضم متحف الركائب الملكية طائفة من العربات الملكية المذهبة على توالى العصور .

أما أثر العرب في البرتغال فوافر متنوع متسلسل :

ففي اللغة : جمع الأب جان دى صوصه الفرنسيسكاني الألفاظ البرتغالية المشتقة من العربية في معجم من ١٦٠ صفحة ، وعدد دافيد لويس أسماء الأماكن العربية في كتاب من

٤٤١ صفحة . وأوضح ماتكون العربية بياناً في المفردات التي تبدأ بأل التعريف ، والمصطلحات الدالة على المرافق والمناصب والمهن والحرف : كالمثارة ، والمد ، والتعريف ، والوزير ، والمتصرف ، والرئيس ، والبرقوق ، وغيرها . ثم كتب البرتغاليون ، في المغرب ، البرتغالية بحروف عربية ، وتبادلوا رسائلها والعرب .

وفي الأدب : تأثر البرتغاليون بما كان من أصل هندي كقصص برلعام وكليلة ودمنة ، وقد ترجموها إلى البرتغالية ، وبألف ليلة وليلة التي طبعوها مراراً . واشتمل قصصهم على العديد من أساطير أهل المغرب الذين ألغاهم السحر في قاع الآبار والأغوار ، فراحوا يرقبون النجاة على أيدي فرسانهم . وتناولت الأغاني البرتغالية تدله البرتغاليين ببناء العرب ، وأهل المغرب بالأميرات البرتغاليات ، ومن أروعها أسطورة خطف ابن محفوظ ملك المغرب الأميرة يرانكا بنت الملك ألفونسو الثالث التي نظمها الشاعر المايذا جاريث في ملحمة ، وألف منها حوسه دي شربا بيناتل مسرحية بعنوان المنصور بن عفان ، وصاغها الفريد كايل وسيزار قريالي أوبرا ، واستعان الأب خيل برت بمحمد العريف في ترجمة تاريخ أمراء الأندلس لأحمد الرازي القرطبي المشهور ، ثم نقل الترجمة الأسقف رودريك الطليطلي إلى الإسبانية وضمت من بعد إلى تاريخ إسبانيا العام لألفونسو الحكيم .

وأفاد البرتغاليون من علوم العرب في : الرياضيات والفلك والحرائط والجغرافيا - وكان أبو الحسن قد وضع الاسطرلاب وخرائط الجزيرة الأيبيرية ، فقلها علماء قطلونيا إلى البرتغال - وبناء السفن فاستدعى الأمير هنري خبراء العرب بعلم البحار ، واصطنع طرازاً من سفنهم في اكتشافاته ، وحقق رحلة ماركو بولو على رحلة ابن بطوطة ، واستعان فاسكو دي جاما بابن ماجد لهديه في مجاهل المحيط الهندي ، فنسب بعض المؤرخين اكتشاف طريق الهند إلى البرتغال والعرب .

وظل لأهل المغرب في أحيائهم بالبرتغال فقهاء وعلماء يعلمون أصول الإسلام ومجادلون النصراري فيها ، وقد تضمن الكتاب الإمبراطوري من ذلك الجدل كثيراً في صحة الأديان ولا سيما أديان موسى وعيسى ومحمد . وأنشأ الملك دينيس ( ١٢٧٩ - ١٣٢٥ ) جامعة لشبونة ( ١٢٩٠ ) ، وأمر بترجمة الكتب الإسبانية واللاتينية والعربية إلى البرتغالية ، وكلف المهندس محمد العريف تحويل جامع مترولا إلى كنيسة ، وترميم قصر الأندورال ، فطبعه بالطراز العربي زخارف ونوافذ وكتابات ، وشيد الملك نفسه برج المراقبة في قصر باجة ، فجعل إحدى قباهه قوطية عربية على غرار قباب الأندلس . وبعد نزول البرتغاليين بسببته بدا الأثر العربي المغربي على

القصر الملكي في شتمة ، وقصر فرنالديو دوق باجة ، والجناح الشرق في القصر الملكي بشتمة والقصر الملكي في يابرة ، وفي برج بيلم ، ثم تأثرت العمارة البرتغالية بالفن العربي من تركيا والعراق ومصر ، فلاح على الجناح الجديد من قصرينا في شتمة ، والقاعة العربية بقصر البولسا في بورتو ، وميدان الثيران في لشبونة ، ومتحف الركائب الملكية .

#### ٤ - من صقلية وإيطاليا :

وأفادت صقلية وهي المشرقة على مناطق مدنات ثلاث - الغربية والأفريقية والشرقية - من فنون وآداب وعلوم الفينيقين والمصريين واليونان والرومان والبيزنطيين والعرب ، وازدهرت الثقافة العربية فيها ، فشهد ابن حوقل فيها نحو ٣٠٠ مسجد و ٣٠٠ من معلمى المدارس (٩٧٠) ، واشتهر من علمائها : الشيخ أبو القاسم ابن القطاع ( المتوفى ٥١٥هـ ) صاحب الأفعال وتصاريغها ، وتاريخ صقلية ، والشافي في علم القوافي ، والملح البصرية ، وطبقات الشعراء . وابن ظفر ( المتوفى ٥٦٨هـ ) مؤلف كتاب الاشتراك اللغوي والاستنباط المعنوي ، وينوع الحياة في التفسير ، وأعلام النبوة . وسلوان المطاع ( وقد ترجمه ميشيل أمارى ، فلورنسا ١٨٥١ ) ومن كتابها : أبو الحسن الكلبي ، وابن مكى ، والرقباني . ومن شعرائها : عمار بن منصور الكلبي ، وعبد الرحمن بن أبي العباس ، وعيسى بن عبد المنعم ، وعبد الجبار بن حمديس ، ( وقد ترجم ديوانه سكيابا ريللي ، رومة ١٨٩٧ ) كما كان الحميدى أشهر مؤرخى ميورقة .

وظلت تلك الثقافة مزدهرة حتى بعد أن أجلى النورمان العرب عنها ( ١٠٥٧ - ١٣٠٨ ) فغزاها روجه الأول المعروف عند العرب بـرجار غزوات متواصلة في جاعة من القرصان ، ولما استولى عليها ( ١٠٦٠ - ١٠٩١ ) وجد فيها خمسة شعوب ، لكل منها لغته ومذهبه وشريعته فأثر العرب واعتمد عليهم في جيشه وفي إدارة دولته ، وضم فلاسفتهم وأطبائهم ومنجميهم إلى بلاطه في بالرمو وقد جعله شرقياً أكثر منه غربياً ، وأطلق لهم الحرية في إقامة شعائرهم ، وأضاف شارة محمد إلى شارة المسيح في ضرب نقوده واضعاً على إحدى صفحاتها : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ومن أقدم الوثائق الأوربية المكتوبة على الورق أمر إدارى أصدرته باللغتين اليونانية والعربية زوجة روجه الأول ( ١١٠٩ ) .

وخلف روجه الثاني أباه ( ١١٠١ ) ثم تلقب بملك الصقليتين ( ١١٣٠ - ١١٥٤ ) ، وسار على خطاه ، فارتدى ملابس شيوخ المسلمين ، وكتب على حلة التويج عبارة بالخط

الكوفي والتاريخ الهجرى (٥٢٨ هـ أى ١١٣٤ م) ، وصك نقوداً تحمل تاريخاً ونقشاً عربيين (١١٣٨) ، وشيد المباني على الطراز العربى ، وزين سقف كاتدرائية بالرمو بالنقوش الكوفية ، واستقدم النساجين اليونان واليهود من كورنثة وطيبة إلى بالرمو ، وأسكنهم أحد قصورها (١١٤٧) وعاون على تأسيس مدرسة الطب فى سالرنو- وقيل : إن مؤسسها أربعة : لائىى ويونانى ومسلم ويهودى (١١٥٠) - وقصر مهنة الطب على الذين ترخص لهم الدولة مزاولته ، وترك للعرب واليهود حريتهم الدينية واستقلالهم الثقافى ، فأطلق عليه خصومه الملك الوثئى ، فى حين عاب شاعر على الشعراء أن يحطوا من قدر أنفسهم بمدح الكفار ! وعقد لواء أسطوله لجورجى الأنطاكى ، فمكثه من بعض مدن شمالى أفريقيا ، وحمل على جنوى إيطاليا بجيوش ومهندسى حصار عربا .

ونزل الشريف الإدريسى (المتوفى ١١٦٦) على الملك ، فألئى العرب قد خلقوا فى صقلية مصانع وقصوراً ومنازل ومساجد وفنادق وحمامات وحوانيت ، وأعجب بوجهه فذكره بالملك المعظم رجار المعتر بالله . . ووصف عدله وهمته وتوسعه فى العلوم الرياضية وغيرها . . وإنجازته وهو نأتم ما لم ينجزه غيره من الرجال وهم أبقاظ ! فاتهم الفقهاء الإدريسى فى دينه وأهل مؤرخوهم ذكره ، وكلفه الملك تصنيف كتاب فى صفة الأرض ، فبعث الإدريسى نفرأ من العلماء يصاحبهم الرسامون فى شتى الأنحاء ، وجعل يسجل ما يتلقاه منهم حتى فرغ منه ، وأسماه كتاب روجارى (١١٥٤) ، ثم أضاف إليه أجزاء ، وأطلق عليه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (وقد طبعت خلاصته مع إحدى ومبعين خريطة فى رومة سنة ١٥٩٢ ، وترجم قسماً منه إلى اللاتينية جيرائيل الصهيونى ، ويوحنا الحصريونى وطبع فى باريس عام ١٦١٩ ، ثم تعددت ترجماته وطبعاته) .

ولم يتميز عهد غليوم الأول الملقب بالشرير (١١٥٤ - ١١٦٦) إلا بثورة المسلمين على النصرارى ، وضباع سلطان النورمان فى شمالى أفريقيا أما فى الناحية الثقافية فقد ترجم يوجين البارمى كتاب العين إلى اللاتينية ، وعاون على ترجمة المجسطى من النص اليونانى إلى اللاتينية (١١٦٠) وكليلة ودمنة من العربية إلى اليونانية (١١٦٩) .

وفى عهد غليوم الثانى الملقب بالصالح (١١٦٦ - ١١٨٩) اشتهر الانجليزى توماس براون Brown الذى ذكرته الوثائق العربية باسم القاضى برون (١١٧٠) ، ثم رجع إلى وظيفته فى وزارة الخزانة البريطانية ، وارتحل ابن جبير إلى صقلية (١١٨٧) فوصف غليوم بقوله : « وشأن ملكهم هذا عجيب فى حسن السيرة ، واستعمال المسلمين ، وهو كثير الثقة بهم ،

وساكن إليهم في أحواله ، والمهم من أشغاله ، حتى إن الناظر في مطبخه رجل من المسلمين ، وعليهم قائد منهم ، ووزراؤه وحجابه الفتيان . . . وهو يشبه في الانغماس في نعيم الملك ، وترتيب قوائمه ، ووضع أساليه ، وتقسيم مراتب رجاله ، وتفخيم أبهة الملك ، وإظهار زينتته بالملوك المسلمين ، ومن عجيب شأنه المتحدث به أنه يقرأ ويكتب بالعربية ، وشعاره على ما أعلمنا به أحد المختصين به : الحمد لله ، حق حمده (١٥) .

ولم يخلف غليوم الثاني ، فاختر للعرش تانكرد وهو ابن غير شرعي لأحد أبناء روجه الثاني (١١٨٩) حتى إذا تزوج هنرى السادس إمبراطور ألمانيا ابنة عمه غليوم الثاني طالب بعرش صقلية وتوج في بالرمو (١١٩٤) وخلفه بعد وفاته (١١٩٧) لابنه فردريك الثاني ، فتوجه البابا أينويسيت الثالث ، وكان وصياً عليه ملكاً على صقلية (١١٩٨) وزوجه كونستانس الأرغونية (١٢٠٩) ، وأمده بالمال لاسترجاع ألمانيا ، فتوج إمبراطوراً في أخن (١٢١٥) ، وبعد وفاة زوجته (١٢٢٢) تزوج إيزابلا وارثة عرش القدس (١٢٢٥) ، وأضاف إلى ألقابه لقب ملك القدس ، ثم حرمه البابا غريغوريوس (١٢٢٧) لتسويفه في الحملة الصليبية ، فقام بها وما زال محروماً (١٢٢٨) ، ووقع مع الكامل أغرب معاهدة لمدى عشر سنوات (١٢٢٩) (١٦) .

ومال إلى المسلمين بعد رجوعه ، فأحسن وفادتهم في مجمع الأمراء الألمان بفريولى (١٢٣٢) وشاركهم في الاحتفاء بأحد أعيادهم على مرأى من الأساقفة الذين يعرفون أنه لم يبق في حياته كلها إلا كنيسة واحدة ، وخرج ابنه هنرى عليه فزجه في السجن (١٢٣٤) وفيه انتحر (١٢٤٢) ، واحتل دير موتى كاسينو ، وطرد رهبانه ففكر البابا حرمانه (١٢٣٩) ، ولما حارب البابوية قضت عليه ، وكسته مسوح الرهبان حتى وفاته (١٢٥٠) ، وقد أوصى لابنه كتراد بعرش الإمبراطورية ، وعين مانفرد ابنه غير الشرعي نائباً عن الإمبراطور في إيطاليا . كان فردريك الثاني يتحدث بتسع لغات ، ويكتب بسبع ، وينظم باللاتينية شعراً أتنى عليه دانتى ، فولد الشعر الإيطالى فى بلاطه فى أبوليا متأثراً بالغزل العربى وناحياً نحو شعراء الفروسية والتشبيب فى بروفانس . ولطالما طوف الإمبراطور بحاشيته فى إيطاليا ، فنشرت الشعر بين أرجائها . وقرأ الإمبراطور بنفسه أمهات التراث الإنسانى ، وأنشأ مكتباً للترجمة أقام عليه ميخائيل سكوت (١٢٢٠ - ١٢٣٦) ، فبلغت متقولاته من المراجع اليونانية والعربية إلى

(١٥) رحلة ابن جبير . طبعة مصر ص ٣٠٨ .

(١٦) الفصل الثالث ، الحملات الصليبية .

اللاتينية ثلاثمائة مجلد في : الفلسفة ، والطبيعات ، والرياضيات ، والكيمياء ، والطب والحجامة ، وأدى عجز المترجمين في مكبي طليطلة وصقلية عن إيجاد مفردات لاتينية للمعاني العربية إلى دخول مفردات عربية وافرة في اللاتينية ، وجعل بعض الترجمات أقل أمانة وإبانة وأحفل أخطاءً وخطأً حتى توفر عليها المستشرقون فيما بعد وأصلحوها ، منها : تعبير الأحلام لابن سيرين ترجمة ليون توزيوس من ييزا ونشره دراكسل ( ليزيغ ١٩٢٥ ) ، وترجمة تيودور الأنطاكي رسالة في حفظ الصحة ، وهى تلخيص سر الأسرار المنسوب خطأ إلى أرسطو ، ورسالة عربية في تربية البزاة ، فكانت مع رسالة أخرى فارسية نواة كتاب صفه فردريك نفسه لابنه مانفرد بعنوان : القنص بالطير في ٥٨٩ صفحة مزدانة بمئات من الرسوم في ستة أجزاء ( نشر الجزأين الأولين شنايدر في ليزيغ ، ١٧٩٨ ، وترجمه إلى الألمانية شويفر ، برلين ١٨٩٦ )

وبعد أن أحل رجال القانون محل رجال الدين أصدر في مالني الكتاب الأعظم ( ١٢٣١ ) ، وهو أول مجموعة منظمة للقوانين بعد جوستينيان<sup>(١٧)</sup> . إلا أن أعظم مآثره هو إنشاؤه جامعة نابولي ( ١٢٢٤ ) بمرسوم ملكي ، ووقفه الأموال الطائلة على أسانذتها وطلابها ، وجعله منقولات مكتب الترجمة كمصنفات أرسطو ، وابن رشد - كتباً مدرسية لها . واستدعاؤه يعقوب الأناضولي ( المولود في باريس ١١٩٤ ) للتدريس والترجمة ، وترجم إلى العبرية المجلسي ومختصر المجلسي لابن رشد ( ولا تعرف له إلا هذه الترجمة العبرية ) وشرح ابن رشد على منقولات أرسطو ، وشرحه على الإيساغوجي لبورفيروس والفرغاني . ثم أرسل نسخاً من الترجمات مع بعثة على رأسها ميخائيل سكوت إلى جامعات إيطاليا وباريس وأكسفورد ، ففتشت فلسفة ابن رشد في معظمها . وتناول جامعة بولونيا بحجابه وأصلح مدرسة سالرنو - وقد جاءت في كتب العرب باسم سالرنه - ووسعها ووهب لها نسخاً من الطب العربي<sup>(١٨)</sup> وأمر بتشريح الجثث فيها .

كما كان يحنى في بلاطه بعلماء الشرق الأدنى ، ومن زاروه ليوناردو فيبوناتشي الذي قدم له بعد عودته من مصر رسالتين في حل معادلات الدرجة الأولى والثانية ( ١٢٢٥ ) ، ويرسل بالأسئلة العلمية والفلسفية إليهم فعله مع ابن سبعين العالم المتصوف ، وكان قد اتهم بدينه وفر

E. Kantorowics, Kaiser Friedrich 11, Berlin 1913.

(١٧)

(١٨) نشر سلفاتورى دى رتسى - Salvatore de Renzi مجموعة مدرسة سالرنو الطبية ، في خمسة أجزاء

( نابولي ، ١٨٥٢ - ٥٩ ) .

من الأندلس إلى شمالي أفريقيا ، فأرسل إليه فردريك الثاني يستفديه في بعض المسائل الفلسفية ، فأجابه بكتاب عنوانه : الأجوبة عن الأسئلة الصقلية في ٤٩ صفحة ( منه نسخة خطية في أكسفورد ) ، فلقب به فليسوف صقلية ، وقد ذكر عنه المستشرق أماري أحاديث طريفة ورأى البابا في فلسفته .

وسار ابنه منفرد - الذى أشرف على ترجمة كتاب التفاحة وقد ضاع أصله العربى - وخليفته شارل دانجو ، وآل هوهنشتين - على نهج فردريك الثانى ، فظلت الصلوات الخمس تقام فى معسكر لوكرا ( ١٢٦٦ ) وقربوا العلماء والشعراء وأغدقوا على أهل الفن والمترجمين ، فترجم الطبيب فرج بن سالم الصقلى فى نابولى كتاب الحاوى للرازى ( ١٢٧٩ ) وما زالت إحدى نسخه فى المكتبة الوطنية بباريس . وقد طبع فى البندقية عام ١٥٤٢ وستراسبورج ١٥٣٢ وآخر طبعة سنة ١٩٠٣ ، وتقويم الأبدان لابن جزلة ( ستراسبورج ١٥٣٢ ) ، والطب التجريبي للجالينوس بترجمة حنين بن إسحق ، وكتاب الجراحة لابن ماسويه ؛ وترجم ناتان هامانى السنّى فى رومة كتاب الحكم ( ١٢٧٩ - ١٢٨٢ ) ، وجعلوا من العربية - على الرغم من أن صقلية كانت ملتقى الثقافتين اليونانية والعربية والعلماء الذين يتقلونها إلى اللاتينية - لغة ثقافتهم ، وقد عاونهم على نشرها كونهم يملكون جنوى إيطاليا ، واشترك إيطاليا - البندقية وجنوى - فى الحملات الصليبية سعياً وراء التجارة ، واقتصارها منذ الحملة الرابعة على قطف ثمارها فعقدت مع سلاطين مصر معاهدات لقاء امتيازات عادت على الفريقين بثروات طائلة حاربا فى سبيلها البرتغاليين معاً ، مما جعل العربية ضرورة لتجارة المدن البحرية ولغة المعاملات والعقود والمعاهدات بين جنوة والبندقية وبين مصر ولبنان ، وبين تونس وبين بيزا ( ١٢٦٥ ) حتى سقوط القسطنطينية ( ١٤٥٤ ) ، فأضيفت التركية إلى العربية .

وهكذا كان ملوك صقلية وأمراؤها عرباً فى ثقافتهم وأساليب حياتهم<sup>(١٩)</sup> ، وتزينت نساؤها بزينة المسلمات من ثياب حرير وتخضيب وتعطر ؛ كما خلف العرب فى صقلية وجنوب إيطاليا : مصنع الحياكة فى قصر بالرمو الذى ظل يجهز الأسر الملكية فى أوروبا بالزرات الرسمية حقبة من الزمن ، وفن تجليد الكتب على النمط العربى ، وما زال الطراز الإسلامى على قصر لازيزا ( العزيز ) وسقف معبد بولاتينا ، وقصور ملوك النورمان المزدانة بالنقوش العربية .

وتعاون العرب واليونان فى ترصيع كنائس بالرمو ، ودير مونريال ، وكنيسة سيغالو

بالفيسفاء (١١٤٨) هذا خلا ما خلفوه في اللغة الإيطالية مثل : قرمز ، كافور ، زعفران ، أكسير ، جزية ، صلح ، رزمة ، قنطار ، دار الصناعة ، ورياح الموسم . ومن أسماء الأمكنة : قلعة النساء ، قلعة الجن ، مرسى الميناء ، منزل الأمير . وسائر أسماء آلات الطرب . وقد أفاد الصقليون والإيطاليون من الفن القصصي الذى أمدهم العرب به : فجاء كتاب كلية ودمنة لهم ؛ كما جاء كتاب ألف ليلة وليلة للفرنسيين فيما بعد - معيّنًا من الإيحاء ومثلاً رائعاً في الاحتذاء ، وعلى غراره صنفوا : الطراز الأول لمحدثات الحيوان الفلسفية الأدبية ، وحكومة الحكومات ، والأمثلة الأدبية للحيوانات المتفاهمة إلخ .

وانتشرت فلسفة ابن رشد انتشاراً أكاد يجعلها الطراز العصرى بين مختلف طبقات رجال الدين في إيطاليا (١٢٤٠) ، وصادفت لدى الناشئة قبولاً عده بترارك ازدرء باليونانية واللاتينية ، فلم تأبه له ؛ إذ كانت ترى من مفاخرها التقف بالقافة العربية على سنة بيك دى لاميزاندول ، ثم التشبه بدانتى زعيم أدباء إيطاليا . وقد حقق الأب آسين بلاثيوس صلة الملهاة (الكوميديا) الإلهية لدانتى برسالة الغفران للمعرى (مدريد ١٩١٩ - ١٩٤٢) ، وأثبت مونيوث سندينو (معراج محمد ، مدريد ١٩٢٩) وأتريكوثيروللى (قصة المعراج ، والأصل العربى الإسباني للملهاة الإلهية ، الفاتيكان ١٩٤٩) - أثبتا بالرجوع إلى مخطوطات لاتينية في مكتبة باريس وغيرها اطلاع دانتى على الثقافة العربية وإفادته منها في وصف الجنة والنار ، وذكر بعض أعلامها كالفارابى ، والغزالى ، وابن سينا ، والبطروجى ، وابن رشد الذى وضعه في المحيط الخارجى للجحيم ، في حين جعل الجنة مثوى سيجر دى برابان زعيم الحركة الرشدية في جامعة باريس ، وبعض رجال الدين المسيحي من أهل النار ! .

وتأثر لوناردو دافنشى بالثقافة العربية في ترجماتها اللاتينية وشروح ميخائيل سكوت ، وتوما الأكوينى ، وألبر الكبير ، وروجر بيكون عليها ، فظهر أثرها في بعض رسومه .

أما الجامعات فقد ظلت جامعة بادوى تعج بترعة ابن رشد العقلية من منتصف القرن الثالث عشر إلى مطلع القرن السابع عشر ، وانطبعت جامعة بولونيا بطابع علمانى كاد يكون معادياً للكنيسة ، ومنها ذهب القول المأثور : حيث يجتمع ثلاثة أطباء يكون اثنان منهم كافرين ! ومن أشهر زعمائها : بوبونسى (المولود عام ١٤٦٢) أستاذ الطب والفلسفة في جامعة بادوى الذى قيل فيه : إن روح ابن رشد قد تقمصت جسم بوبونسى ؛ وبرونو (١٥٤٨ - ١٦٠٠) الذى حمل لواء ابن رشد وابن جبيرول ، وصاغ من آرائها مذهب انطلاق في فلسفة النهضة .

## ٥- من الفاتيكان :

وبدأ الاستشراق أكثر ما يكون تنظيماً وانتشاراً واستمراراً بالفاتيكان : باباوات وأساقفة ورهباناً ، واصطناع نفوذهم في سبيله لدى الملوك والأمراء والبلديات ، والإفادة منه في الرد على البروتستانتية بعد انفصالها عنهم مما جعله لغايات متنوعة ، بوسائل متعددة ، في أرجاء واسعة .

كان رجال الدين - ومرجعهم الفاتيكان يومئذ - يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا ، ولا سبيل لهم إلى إرساء نهضتها إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثلته الثقافة العربية ، فعملوا العربية ، ثم اليونانية ، ثم اللغات الشرقية للنفوذ منها إليه (٢٠) دون ما استكبار إلا لدى بعض المتأخرين الذين برروا أخذ نصارى الغرب عن مسلمى الأندلس باستعادة ما أخذه المسلمون من الثقافة اليونانية والهليستينية عن طريق نصارى الشرق (٢١) !

ولتخريج أهل جدل بقارعون فقهاء المسلمين واليهود ويردون عليهم ببراہين من كتبهم أنفسهم في البلاد التي أجلاهم الإسلام عنها وبلغ أوروبا منها - قصد الفرنسييسكانيون المغرب حيث قتل خمسة منهم (١٢٢٠) ، وانطلق الدومينيكيون (١٢٥٢) إلى بلغاريا ورومانيا والشرق .

ثم لتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم إلى الأراضي المقدسة والعناية بعبارى السيل ، وقد كلف الفرنسييسكانيون بمن يفدون على فلسطين ، والدومينيكيون بمن يقصدون سوريا ومصر . وأسس البابا جمعية الجوالين (١٢٥٠) ، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً (١٣١٨) واتخذ بعد سقوط القطنطينية (١٤٥٣) لوناً آخر ، فطبع الأب مارتن روث P.M. Roth الدومينيكي دليل الحج لبرنارد دى برايدنباخ B. de Breydenbach اشتمل على أبجدية عربية كاملة مع طريقة النطق بها في حروف لاتينية ، وخريطة لمدينة القدس ، ورسم جماعة من اللبنانيين بأزيائهم الوطنية ؛ فكان أول ما عرفت أوروبا من الطباعة العربية ( ماينس ١٤٨٦ ) ، ثم تكررت طباعته إحدى وأربعين طبعة (١٧٢٨) ، وتلاه دليل توريانتينوم بالشعر ، وفيه المفردات العربية اللاتينية ثلاثاً وعشرين طبعة (١٥٠٥ - ١٥٣٦) ، ثم تعددت طباعته حتى عام ١٦٠٦ .

L. Halphen, L'essor de l'Europe aux IXème- XIIIème siècles.

(٢٠)

Ch. Diehl et G. Marçais Hist. du Moyen âge, t 111, p. 322.

(٢١)

ثم لتحقيق الكتاب المقدس : ففي عام ١٥٠٦ صنف روكلن - وكان علامة باليونانية والعبرية - كتابا في قواعد اللغة العبرية رفعها إلى مصاف اليونانية واللاتينية في معاهد إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وإنجلترا والبلاد المنخفضة (بلاد القاع) وألمانيا .

وعلى أساس العبرية - نشرت التوراة في طبعات متعاقبة : كطبعة الكالا (١٥١٤ - ١٥٢٠) وعرفت باسم الكردينال كزيمس ، والطبعة السبعينية (١٥١٨ - ١٥٢٩) Aldine des Septante ، وطبعة فيليب الثاني ملك إسبانيا (١٥٢٧ - ١٥٩٨) . ولما زيدت عليها ترجمة سريانية عرفت بطبعة أنفر (١٥٧٢) Anvers ، وترجمات من التوراة لتريميلوس وتلميذه يونس من جامعة هايدلبرج بأمر فردريك الثالث على أساس سرياني وعربي (١٥٦٩ - ١٥٧٨) ، وطبعة باريس على أساس سرياني وعربي ، وعرفت باسم لى جاي (١٦٢٨ - ١٦٤٥) Le Jay ، وطبعة لندن عرفت باسم الأسقف والتون (١٦٥٤ - ١٦٥٧) B. Walton .

وبلغت العناية بالتوراة ذلك المبلغ الخطير لافصال لوثر (١٥٢١) عن الفاتيكان وإنكاره على البابا سلطانه ومناداته بالإصلاح ، ثم اعتناق فردريك الثالث البروتستانتية (١٥٦٠) وانتشارها من بعد .

ولما كان الكتاب المقدس ، والتوراة أساسه المرجع الوحيد للعقيدة المسيحية - فقد نقل لوثر ومؤازروه وأتباعه إلى ميدانه وحاربوها فيه . وقابلهم الفاتيكان في ميدانهم بعلمائه وفلاسفته ومؤرخيه ، ومعظمهم يتقن اللاتينية واليونانية والعبرية ، والشرقيون منهم يتقنونها ويضيفون إليها السريانية والعربية والكلدانية إلخ . ومن ذلك الميدان اتجه نشاط الفريقين العلمى ، وقد تركا المسلمين واليهود جانبا إلى الشرق مهد الديانة المسيحية ، فتناوله في جغرافيته وتاريخه ولغاته وثقافته وتطوره للكشف عن أسرار الكتاب المقدس .

ومن أجدى الوسائل التى اصطنعها الفاتيكان وأجزها .

تعلم العربية - ثم اليونانية واللغات الشرقية - في مدارس إسبانيا وتعليمها في مدارس أديارها وكاتدرائياتها وكراسى جامعاتها<sup>(٢٢)</sup> ونشر الثقافة عن طريق ما أسسه منها كجامعات : بولونيا (١٠٧٦) وتولوز (١٢١٧) ومونبليه (١٢٢٠) وصلمنكة (١٢٢٧) وبياسترا (١٢٤٨) ورومة (١٣٠٣) وفلورنسا (١٣٢١) وبادوى (١٣٦١) وغيرها ؛ كما استعان بالملوك والأمراء والبلديات على تأسيس مدارس اللغات الشرقية في عواصم بلدانهم وتخصيصها

بكراس مستقلة في كبرى جامعاتهم فاستجابوا له ، ولكنها لم تنتظم إلا بعد أن قضى البابا أكليمنطس الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤) في مجمع فيينا (١٣١١ - ١٣١٢) بإنشاء كراس للعبية والعربية والسريانية - وأطلق عليها يومئذ الكلدانية ، أى الآرامية - في جامعات : رومه على نفقة الفاتيكان ، وباريس على نفقة ملك فرنسا - وكان الفاتيكان ينفق على عشرين طالباً إكليريكياً من الشرق في باريس بقرارات بابوية في أعوام ١٢٤٨ و ١٢٥٨ و ١٢٨٥ - وأكسفورد على نفقة ملك إنجلترا . وبولونيا ، وصلمنكة على نفقة رجال الكنيسة في كل من البلدين .

وقد خصت كل لغة من اللغات الثلاث بكرسيين وعين أساتذتها ، وأجزل أجرهم لقاء قيامهم بتعليمها تعليماً سليماً يمكن من الكتابة والتخاطب بها ولقاء ترجمتهم لمصنفاتها إلى اللاتينية ترجمة علمية دقيقة .

ثم توسع الفاتيكان في إنشاء الكراسى والمدارس والمكبات والمطابع والمجلات في إيطاليا ، وعاون على مثلها في الغرب والشرق وعلى ترجمة التراث الإنساني عن العربية - ثم عن اليونانية واللغات الشرقية - والاستعانة بمن يجيدها من النصارى والمسلمين واليهود على نقله نقلاً حرفياً ، ثم يعمد رجال الدين إلى صياغته في أسلوب لاتيني مبين .

ولم يكفوا بتلك المقولات ، فأنشأ دون رايوندو الأول رئيس أساقفة طليطلة مكتب المترجمين في طليطلة (١١٣٠) ، وأشرف ميخائيل سكوت على مكتب الترجمة الذي أنشأه فردريك الثاني في صقلية (١٢٢٠ - ١٢٣٦) ، وأفادوا من مكتب ألفونسو الحكيم (١٢٥٢ - ١٢٨٤) والمصنفات التي أمر الملوك والأمراء بنقلها أو نهض العلماء بها ونشروا جميع ذلك في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم ، ومنها انتقلت إلى مثيلاتها في أوروبا ، وظل بعضها يدرس فيها حتى القرن السابع عشر .

وكان في ترجمة الفلسفة أو الطب أو الفلك إلخ نقل لسائر العلوم لأن اليونان والعرب من بعدهم خلطوا بينها جميعاً - فجمع ابن سينا في رسالة النفس آراء الفلاسفة إلى أصول الدين على شيء من تصوف الشرق ومذاهب الهند - ولم تفرع إلا في متوسط القرن الخامس عشر . ولما كان الشرق أسبق في الحضارة من أوروبا بنحو ثلاثة قرون - فقد أخذت عنه في العصر الوسيط بادئة بالعربية ، لغة الشعوب الأولى ، ولكن العربية تفوقت عليها ، لأنها لغة العلم ، ولغة الفلاسفة ، كابن رشد ، وابن سينا وغيرهما<sup>(٢٣)</sup> . وكان الكندي والفارابي وابن

سينا أشهر المتقدمين في الترجمة الفلسفية ، وابن باجه وابن طفيل وابن رشد في الطبقة الثانية . ولكل منهم مذهب واحد في الحقيقة وإن اختلفوا في العرض ما داموا أخذوا جميعاً بالأفلاطونية الحديثة .

وحاول الكثيرون منهم التوفيق بين أرسطو وأفلاطون<sup>(٢٤)</sup> إلا أن الفلسفة الإسلامية منيت بعقبات كان من العسير تذليلها ؛ إذ تمثل أصحابها تراث اليونان وجمعوا بعضه إلى بعض ، وحاولوا التوفيق بينه وبين الدين . وأبدعوا منه نظريات ومذاهب اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً فَعَلَ مدرسة الإسكندرية من قبلهم ويهود إسبانيا من بعدهم ونصارى أوروبا الذين أخذوا عنهم ؛ مما حمل الكنيسة على تحريم فلسفة أرسطو وشروح ابن رشد عليه في أشهر معاقبتها وهي جامعة باريس .

لقد انتقلت الفلسفة من مدرسة شارتر (١١١٧) إلى جامعة باريس (١٢٠٠) لتزلزل عقائد طلابها ، فأسرت الكنيسة إلى تحريم قراءة كتابي ما وراء الطبيعة ، والفلسفة الطبيعية لأرسطو والشروح عليهما (١٢١٠ - ١٢١٥ - ١٢٤٠) ، ولما عادت جامعة باريس إلى تعليمها (١٢٥٥) أعادت الكنيسة تحريمها (١٢٦٣) ولكن الحرمان لم ينفذ لتأكيد توما الأكويني لها بأنه من الممكن تطهيرها (١٢٦٦) ، ثم أصبحت لجنة الامتحان البابوية تحتم على الطلاب درس أرسطو دراسة وافية لنيل الشهادة .

أما فلسفة ابن رشد فكان أثرها في المسيحية أشد منه في الإسلام ، فقد اضطهده معاصروه اضطهاداً أضاع أصول معظم كتبه العربية ، وسلمت ترجماتها بالعبرية . وطفق الأوروبيون يحملون على فلسطين ويستعيدون إسبانيا وصقلية ، حتى إذا نقلوا من الثقافة العربية فلسفة أرسطو وابن سينا وابن رشد وغيرهم انبثت النزعة العقلية في أوروبا ، ونالت من معتقدها ، واختلف رجال الدين فيها . وأول من نشر فلسفة ابن رشد - ميخائيل سكوت ، وموريس الإسباني ، وإسكندر الهاليسي . فوجدتها وليم الأوفرنى أسقف باريس - وكان يناصر البحث العلمي - قد استحوذت على عدد كبير من طلاب جامعة باريس (١٢٤٠) ، وراحوا يلتمسون نتائجها دونما تمحيص ، وأغرقوا فيها (١٢٥٦) فروع البابا ألكسندر الرابع وكلف ألبر الكبير أن يكتب رسالة في وحدة العقل للرد عليها ، والذهاب إلى جامعة باريس لمناهضتها ، فأناج عنه توما الأكويني . وكان سيجر دي برايان (١٢٣٥ - ١٢٨١) كاهناً متجسراً في العلم مطلقاً على الفلسفتين الإسلامية واليهودية ، فترجم الحركة الرشدية في جامعة باريس ، وبلغ بها

الذروة (١٢٦٦ - ١٢٧٦) على الرغم من انتصار توما الأكويني على الرشدية انتصاراً أدى إلى تحريمها (١٢٧٠ - ١٣٢٤) وإلى إدانة سيجر (١٢٧٧) وسجنه في رومه .

وشجر النزاع حولها بين الرهبانيات طوال مائة عام ، وقسم الدفاع نفسه إلى معسكرين : الصوفي الأفلاطوني ومعظمه من الرهبان الفرنسيسكانيين ، والعقلي الأرسطاطلي وجله من الرهبان الدومينيكيين . هذا على اختلاف فيما بين الرهبانية الواحدة : فتوما الأكويني الدومينيكي اعتمد على فلسفة ابن رشد - مع أنه من أشد خصومه - في التوفيق بين الفلسفة والدين . ورد عليه زميله رايموندو مارتيني الدومينيكي في كتابه - خنجر الإيمان - مستنداً إلى حجج الغزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة المشائين .

ودحض جيل الروماني آراء ابن رشد باعتماده على صوفية ابن عربي - ولم يعأ بهم أرمنجو ، وهو طبيب فرنسي واسع الاطلاع على الثقافة العربية ، فترجم منها كتاب القانون لابن سينا ، وفلسفة ابن رشد (١٢٨٤) - وانتقده رايموندولوليو الفرنسيسكاني في مجموعة ردود على ابن رشد (باريس ١٣٠٩ - ١٣١١) ، ثم طلب البابا يوحنا الثاني والعشرون (١٣٢٥) مراقبة الأساتذة فيما يدخلونه عن اللغات السامية في كراسي الجامعات ، على أثر انتشار الثقافة السريانية واليهودية والعربية .

واستمرت الرقابة بين شدة ولين حتى أقر الملك لويس الحادى عشر تدريس أرسطو بشرح ابن رشد (١٤٧٣) وقد ظلت جامعة بلزيس طوال ثلاثة قرون زعيمة التفكير الحر في أوروبا ، ولها من النفوذ في الدين والدولة مالا عهد لمعهد علمى به منذ أرسطو ، وملتقى نخبة المفكرين للمحتازين أمثال : بيار ابيلار ، ووليم الكوشى ، وميخائيل سكوت ، ويوحنا السالسيورى ، وتوما الأكويني ، وبونا فنتورا ، وألبر الكبير ، ودونس سكوتوس وسيجر دى برابان ، وروجر بيكون ، ورايموندو لوليو . فهؤلاء هم تاريخ الفلسفة السكولاستيكية (١١١٠ - ١٤٠٠) التى تميزت في مصطلحاتها وأغراضها وصياغتها بدقة وحجة ووضوح لم يعرفها الأقدمون أنفسهم ، وعلى ضوءها درسوا القانون الروماني ووضعوا الشريعة الكنسية ، فكانت من خير ما تمخض عنه العقل البشرى في العصر الوسيط .

ولما سقطت القسطنطينية في أيدي العثمانيين (١٤٥٣) ، ورحل عنها علماءها بمخطوطات العلوم والآداب والفنون إلى أوروبا - وأنفق مجلس شيوخ البندقية الأموال الطائلة في اقتناء مخطفات القديسين الشرقيين من القسطنطينية ، وعرض عشرة آلاف دوقية ، ليظفر برداء المسيح - رجعت المدرسة السكولاستيكية ، رجوع العلماء والأدباء وأصحاب الفنون إلى

الأصول اليونانية ، وجعلوها كبرى دعائم النهضة الأوربية ، إلا أن أثر الفلسفة الإسلامية ظل جلياً متنوعاً متتابعاً حتى بعد تنخلها من عناصرها الدينية - حتى إن الكرديتال دى كوزا رجع عن رده على الإسلام بكتابه: -السلام العالمى عن طريق التوفيق بين الأديان الموحدة المتعددة - فى المدرسة السكولاستيكية على تعدد مذاهبها : الأرسطاطلية ، والأفلاطونية الحديثة ، والأوغسطينية ، وفيمن زاوها عن طريق الفلسفة اليهودية تأثر سينيوزا بموسى بن ميمون فى الاعتماد على الرياضيات لإثبات وحدة الكون فى جميع التصورات . ولدى الذين قادتهم نزعتها العقلية إلى الخروج على المسيحية مع احتفاظهم بقانونها الأخلاقى من أمثال فولتير ، وديدرو ، ودارون ، وامبسنر ، وريتان .

وكان لأولئك الرهبان فضل فى عارة أوربا ومدھا بالمهتلمعين والرمامين والمثالين منذ القرن التاسع ، واصطناع عبارتها فى تشيد أديرتهم وكنائسهم وقصور أمرائهم وتربيتها بالروائع : فرسم ليوناردودافنشى صورة العشاء الأخير على جدار معظم دير الدومينيكيين فى ميلانو ( ١٤٩٥ - ١٤٩٨ ) ، فما زالت أشهر الصور على الإطلاق فى العالم ، وفى الحفاظ على التراث الطبى من الضياع وتمهيد السبل لزراعة النباتات الطيبة ، وقد كتب بدرو الإيبانى أوسع مصنفات الطب انتشاراً فى العصر الوسيط .

وفى تصنيف الموسوعات وأشهر أصحابها : ألكسندر نكهام ، وتوما كانتميرى ، ووفيه صاحب المرآة الكبيرة ، وكان هدفه نقل ٤٥٠ كتاباً من اليونانية واللاتينية والعربية . وفى علم الميكانيكا ؛ فقد سبق جوردان جرادىوس نيوتن إلى عدد من المبادئ الأساسية فيها . وفى الرياضيات : صنف جوانس دى سكرويسكو رسالة فى الكرة الأرضية ، وأخرى بعنوان الرياضيات للملايين أطلق على أرقامها الأرقام العربية .

وقام جرير ، وأدلرد أوف باث ، وميخائيل سكوت وألبر الكبير ، وروجريكون بتجارب علمية ، وانتهوا إلى مبادئ أساسية حطمت ماكان لأرسطو وبلنى وجالينوس من سلطان على العقول ، ولكن الناس اتهموهم بالسحر ؛ لأنهم لم يكونوا يصدقون أنهم حصلوا علمهم ذاك بالوسائل الطبيعية ، فعزوا مصنفاتهم فى الحجر السحرى إلى جابر بن حيان الكيمياوى العربى الشهير لينجوا بأنفسهم من غضب المترمتين والطاعة ؛ كما عرفت أوربا أدق المعلومات عن الشرق الأقصى ، وصححت رحلة ماركو بولو عن طريق الرحالة من الرهبان .

وأول مطبعة أنشأها الرهبان : سفا يتايم ، وبامرتز فى دير سوبياكو ( ١٤٦٤ ) ، ثم نقلها إلى رومة ( ١٤٦٧ ) ، وبدأت الطباعة فى البندقية وفى ميلانو ( ١٤٦٩ ) وفى فلورنسا

(١٤٧١) وفي ماينس حيث طبع الأب روث الدومينيكي دليل الحج ، وفيه الأبجدية العربية (١٤٨٦) وقبل أن يختتم القرن الخامس عشر صدر عن إيطاليا ٤٩٨٧ كتاباً منها ٣٠٠ في فلورنسا و ٦٢٩ في ميلانو ، و ٩٢٥ في رومة ، و ٢٨٣٥ في البندقية ، ونشر التراث اليوناني بتكاليفه ، وصنف كاليينو الراهب الأوغسطيني معجماً في اللاتينية والإيطالية أخذ يزداد كلما أعيد طبعه حتى اشتمل على إحدى عشرة لغة (١٥٩٠) .

#### ٦ - طلائع المشرقين :

جيربر دى أورالبالك (٩٣٨ - ١٠٠٣) *Jerbert de Oraliac*

من الرهبانية البندكتية (المؤسسة عام ٥٢٩) قصد الأندلس ، وأخذ على أساتذتها في مدارس ريبول وأشبيلية وقرطبة ، حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ، ولما ارتحل إلى رومة سما على أقرانه ، وانتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ - ١٠٠٣) ، فكان أول بابا فرنسى ، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين : الأولى في رومة مقر خلافته ، والآخرة في رايمس وطنه ، ثم أضيف إليها مدرسة شارتر ، وقيل : إنه أول من صنع ساعة رقاصة ، ووصف حروف الغبار وصفاً علمياً ، وبث الأعداد العربية في أوربا - التي كان ينقصها رقم الصفر - وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية كالزيج المنصوري (١٠٠٠) ، وله دراسة عن كتاب أقليدس بالعربية (محفوظات كنيسة وستر بإنجلترا) ، وقد نشر نيك بونوف مصنفاته الرياضية (برلين ١٨٩٩) .

قسطنطين الأفريقي (المتوفى عام ١٠٨٧) *Constantinus Africanus*

ولد في قرطاجنة ، ورحل إلى خراسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند ، ولما رجع إلى تونس وقع أسيراً ، ثم اعتنق النصرانية والتحق بمدرسة الطب في سالرنة (١٠٦٠) ، وترهب في دير مونتى كاسينو ، وطفق يترجم كتب الطب والفلك من العربية إلى اللاتينية عن إسحق بن عمران ، وكتاب العلاج العام لإسحق الإسرائيلي ، وكتاب التقاسيم وزاد الحاضرين لتلميذه أحمد بن الجزار - وجميعهم قيروانيون - والقسم النظرى من كتاب الملكى لعلى بن عباس ، وبعض رسائل الرازى .

ولكنه انتحل بعض ما ترجم ككتاب المقالات العشر في العين لحنين بن إسحق ، فجعل عنوانه : كتاب قسطنطين الأفريقي في طب العيون ، وقد جمعت آثاره ، وعددها ٢٤ مصنفاً ، ونشرت في ليون (١٥١٥) وبال بسويسرا (١٥٢٩) .

**أوجو دى سانتالا** (نزل بسرقسطة ١١٠٧ - ١١١٩) **Ugo di Santalla**  
آثاره : ترجم بإشراف أسقف طرزونة شرح البيروني على الفرغاني ، ورسائل في الكيمياء  
وعلم الرمل .  
وقد أحصى ترجماته بول تانيري (المذكرات العلمية ، ج ٤ ص ٢٩٥ - ٤١١) .

**ديكويل** (لمع اسمه عام ١١٢٥) **Dicuil**  
راهب آرلندي تعلم على كلونارد ، وزار مصر ، ووصف أهرامها ، وحقق أبعادها وطوى  
كتابه - الجغرافيا - على تقرير تيودوسيوس وأبحاث الرحالة إلى مصر في عهده .

**أدلرد أوف باث** (١٠٧٠ - ١١٣٥) **Adelard of Bath**  
ولد في مدينة باث ونسب إليها ، وانخرط في سلك الرهبانية البندكتية ، وطلب العلم في تور  
والأندلس وصقلية ، وأهدى أسقف سرقسطة أحد كتبه (وقد نشره هانز فيلنر ، في مونستر  
١٩٠٣) ومصر ولبنان وأنطاكية واليونان (١١٠٤ - ١١٠٧) والقدس وجمع معارف في  
علوم الطبيعة والفلك والرياضيات . وعند عودته إلى إنجلترا عين معلماً للأمير هنري الذي  
أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني ، وقد أهدى إليه أحد كتبه ، وأشهر باختباره سرعة الضوء  
والصوت ، وتضلعه من ثقافة العرب الذين آثر مذهبهم في العلم على مذهب الفرنجة ، فقال في  
كتابه المسائل الطبيعية ، وهو محاوراة بينه وبين ابن أخيه خريج جامعات الفرنجة :  
« إنني - وقائدي هو العقل - قد تعلمت من أساتذتي العرب غير الذي تعلمته أنت ،  
فبهرتك مظاهر السلطة بحيث وضعت في عنقك لجاماً تقاد به قياد الإنسان الحيوانات الضارية  
ولا تدري لماذا ؟ ولا إلى أين ؟ . فقد منح الإنسان العقل لكي يفصل به بين الحق وبين  
الباطل . . فعلينا بالعقل أولاً فإذا اهتدينا إليه - لا قبل ذلك - بحثنا في السلطة ، فإن سايرت  
العقل قبلنا وإلا . . » .

آثاره : ترجمات لاتينية وافرة في الفلك والرياضيات أشهرها زيج الخوارزمي بتنقيح  
المجريطي (مكتبة مازارين ، في باريس ١١٢٦ ، وقد شرحه سوتر في تقارير مجمع العلوم في  
الدايمرك ٣ ، ١٩١٤) ، وكتاب الغورقي (نشره كورتيس ، ليزيغ ١٨٨٩) ، وكتاب  
الأصول لأقليدس ، وكان الأصل اليوناني مفقوداً (١١٣٠) ، وما زالت إحدى رسائله عنه

محفظة في مكتبة كنيسة وستر. وترجم بمعاونة يوحنا الأشبيلي أربع كتب لأبي معشر البلخي (١١٣٣)، وصنف كتاب الأسئلة الطبيعية (١١٣٠)، وقد نشره مارتن موللر طبعة حديثة، مونستر (١٩٣٤) وعدة مباحث في الفلك والرياضيات. والأسطرلاب (١١٤٣) والقنص بالباز (محفظة في مكبات باريس ومونبليه وإنجلترا) والعلوم عند العرب (طبع بعد عام ١٤٧٧)، وقد ساعد بنفوذته على نشر تلك العلوم وازدهارها في أوروبا جمعاء.

### بطرس المكرم (١٠٩٤ - ١١٥٦) Pierre Le Venerable

فرنسي من الرهبانية البندكتية، عينه لسعة اطلاعه رئيساً على ديرها في كلوني، (١١٢٣) Cluny - الذي شيدته في فرنسا (٩١٠) وانطلقت منه حركة إصلاح عمت النصرانية الأوروبية، وجعل منه رهبان الإيبان - وعلى رأسهم الأب أيلار - بعد أن آووا إليه في القرن الثاني عشر - مركزاً خطيراً لنشر الثقافة العربية، وقصد الأندلس (١١٤١ - ١١٤٣) فيمن قصدها مستريداً من علومها، ولما رجع إلى دبره نظمه وطقق بصنف الكتب في الرد على علماء الجدل المسلمين وشجب اليهود، وقد طبع من مصنفاته ثلاثة (ليزيج ١٨٩٦) كما أوعز بترجمة القرآن.

### يوحنا بن داود الإيباني (متصف القرن الثاني عشر) Juan Abendaud

يهودي متنصر، خلف رايغونديو على أسقفية طليطلة، ولم يكف بما نقله مع زميله جوثالث، فترجم وحده كتاب العلل، وكتاباً في الطبيعة وثالثاً في المنطق، وفلسفة ابن رشد (١٢٣٠) وكتاب السياسة لأرسطو عن ترجمة ابن البطريق (١١٣٥)، ثم أعاد ترجمته فيليب الطرابلسي (١٣٤٠) وكتاب الجبر للخوارزمي، وصنف كتاباً بعنوان كتاب الخوارزمي في الحساب العملي (نشره ب. بونكومباني في رومة ١٨٥٦) وترجمات من الكراييسي والفرغاني (فرارا ١٤٩٣، ونورمبرج ١٣٥٧، وباريس ١٤٥٦) وكتابي القيسي في النجوم وأبعاد الكواكب.

### يوحنا الأشبيلي (متصف القرن الثاني عشر) Juan de Sevilla

هو الآخر يهودي متنصر، عني بعلم التنجيم، فترجم بمعاونة أدلرد أوف باث إلى اللاتينية أربعة كتب لأبي معشر البلخي (١١٣٣)، وقد طبعت في البندقية ١٤٩٥ و١٥١٥ وفي

فرانكفورت ١٥٧٧) ، وترجم وحده : رسالة في الأسطرلاب للمجريطى ، وكتاباً في آلات الساعات لثابت بن قرة ، ومعاونة جيراردى كرىمونا : المدخل إلى علم هيئة الأفلاك للفرغانى (١١٣٥) ، والموجز في الفلك للفرغانى (١١٤٢) ، وإحصاء العلوم للفرغانى (وقد نشر الترجمة اللاتينية كليمنس باوز - محاضرات في تاريخ الفلسفة ١٩٠٠) ، وصنف موجزاً في الحساب .

### روبرت أوف تشستر (أشتهر من عام ١١٤١ إلى ١١٤٨) Robert of Chester

من أهالى كيتون ، تلقى العلم في تشستر ، ونسب إليها ، ودخل الرهبانية البندكتية . وقصد الأندلس وعين أسقفاً على بامبلونة (١١٤٣) وتثقف بالثقافة العربية ولا سيما بالعلوم الرياضية والفلكية منها ، واختير مستشاراً لصقلية ، واشترك هو وزميله هرمان اللاطى فى ترجمة العلوم ؛ كما جاء فى خطاب بطرس المكرم إلى القديس برنار : قابلت روبرت وصديقه هرمان اللاطى عام ١١٤١ بالقرب من الأبروفى إسبانيا ، وقد صرفتهما عن علم الفلك إلى ترجمة القرآن باللاتينية ، فأتمماها عام ١١٤٣ ، وكانت أول ترجمة للقرآن استعانا فيها باثنين من العرب ، نشرها بييلياندر فى ثلاثة أجزاء (بال ١٥٤٣) ثم نقلت إلى الإيطالية والألمانية والهولندية ) ، وأنجز ترجمته الثانية الأب ماركوس الطليطلى بتوجيه من الأسقف رودريك دى وادا فى القرن الثالث عشر ، ونشر الساندرى باجانينى أول طبعة للنص العربى (البندقية ١٥٣٠) ، ولكن روبرت وهرمان لم ينصرفا عن العلم ، فترجا كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى فى خمسة فصول (١١٣٥) ، ثم نشرها كرىنسكى عام ١٩١٥) ، فكانت ترجمتها له ولكتاب الكيمياء من بعده فاتحة العلوم المنظمة فى أوربا . وترجم روبرت كتاباً فى الكيمياء والفلك ، وصنف عدة رسائل (١١٤٧) ، وعاون على إدخال حساب المثلثات فى إنجلترا (١١٤٩) ولفظ الجيب عند تحقيق زيح البنانى وقد فقدت ترجمته - والزرقالى ؛ كما عدل كتاب الخوارزمى ، لينطبق على خط الزوالى فى لندن (١١٥٠) .

### هرمان اللاطى (المتوفى ١١٧٢) Hermann Alemanus

زميل روبرت فى رهبانيته ودراساته وترجماته ، وقد عين رئيساً لشماسة سراييلونا ، ثم راعياً لكنيسة شينى (١١٤١ - ٤٣) ، ثم أسقفاً على استورجه ، ونقل إصلاح المجسطى للمجريطى (تولوز ١١٤٣) ، ثم نشر النص فى إسبانيا ١٢٤٠) ، ثم نشر هايبيرج الترجمة

اللاتينية في كتاب الهيئة الصغير لبطليموس ، ليزيغ (١٩٠٧) وعلم الأخلاق وبعض الرسائل في الكيمياء ، وصنف في كتاب البلاغة والشعر لأرسطو مستعيناً بشرح الفارابي على البلاغة ، ويتلخص ابن رشد للشعر. وفي الجواهر متأثراً بالعرب ، كما ترجم رودلف دي بروجس R. de Bruges تلميذ هرمان شروح مسلمة الجريطي على النظام الرياضي لبطليموس .

#### الاطلون التيفولي (برشلونة ١١٣٤ - ١١٥٤) Platon di Tivoli

آراه : ترجم رسالة ابن الصفار في الأسطرلاب ، وزيج البتاني بعنوان : علم النجوم (١١٤٠) ، وقد حققها ريجو مونتanos ، وأصلح ما فيها وعلق عليها ، نورمبرج ١٥٣٧ ، بولونيا ١٦٤٥ - ٤٦) والحساب لبطليموس عن ترجمته العربية ، وكتاب الجبر والهندسة العملية لإبراهيم برحيا عن العبرية (١١٤٥) ، وقد وصف ترجماته كورتس (ليزيغ ١٩٠٣) .

#### دومنجو جونثالث (المتوفى ١١٨١) D. D. Gonzalez

نائب أسقف شقوية ، وهو ويوحنا بن داود الإسباني أشهر النقلة بمكتب لترجمين في طليطلة ، فكان يوحنا يملئ النص العربي بالإسبانية العامية ويصوغه جونثالث باللاتينية الفصحى ، وقد نقلنا عن ابن سينا : النفس ، والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، وأقساماً من الشفاء (باريس ١٥٦٨) وكتاب الشفاء ، في ٢٨ مجلداً . وعن الفارابي : إحصاء العلوم . وعن الغزالي : مقاصد الفلاسفة . وعن ابن جبيرول : ينبوع الحياة (١١٥٠) ، وقد نشره باوماكر في مونستر ١٨٩٢ - ٩٥) ، ونقلنا فلسفة الكندي (أوجسبرج ١٤٨٩) وعن قسطا بن لوقا ، وما شاء الله ، والبلخي وأبي حفص الطبري ، وابنه أبي بكر محمد (البندقية ١٥٠٣) والخياط (نورمبرج ١٥٦٤) والبتاني ، وثابت بن قرة ، ومسلمة الجريطي ، وابن أبي الرجال . ولم يقف جونثالث عند الترجمة ، بل صنف عدة كتب (٢٥) .

#### دانييل أوف مورلي (اشهر بين ١١٧٠ - ١١٩٠) Daniel of Morley

درس في أكسفورد وباريس . ولم يكن راضياً عن جامعات الغرب ، فقصده الأندلس ، بعد أدلرد بحثاً عن من هم أكثر حكمة من فلاسفة العالم على حد قوله . وكلف أحد نصارى

طلبلة المدعو غالب ترجمة المحسطى لبطليموس (١١٩٧) ، ثم عاد إلى إنجلترا بمجموعة كبيرة من المصنفات النفيسة ، وألف كتاباً بعنوان : الطبيعة السفلية والعلوية ( وقد كتب سنجر بحثاً عن المؤلف ، إيزيس ١٩٢٠ ) وآخر في الفلسفة .

### جيرار دى كريمونا ( ١١١٤ - ١١٨٧ ) Gérard de Grémona

إيطالى من الرهبانية البندكتية قصد طلبلة حيث تضيع من العربية ، وعكف على مصنفاتها ، فترجم منها ما لا يقل عن ٨٧ مصنفاً في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وضرب الرمل فقدت معظم أصولها العربية ، وسلمت ترجماتها اللاتينية ، فهدت مع مثيلاتها إلى إنتشار العلوم في أوروبا وتوثيق صلتها بالشرق ، وقد توفى في طلبلة .

آثاره : في الفلسفة والمنطق ترجم : رسائل الكندى في العقل والمعقول وفي الجواهر الخمسة ( البندقية ١٥٠٧ ، وستراسبورج ١٥٣١ ) وبمعاونة يوحنا الأشيبلى : إحصاء العلوم للفارابى ( نشر في مجموعة آثار الفارابى ، باريس ١٩٣٨ ) وترجم وحده : شرح الفارابى على أرسطو وترجمة موسى بن طيون وإسحق الإسرائيلى . وفي الطب : القانون لابن سينا ( وقد أعيد طبع ترجمته خمس عشرة طبعة وواحدة عبرية ، ١٤٧٣ - ١٥٢٧ ، ثم اعتمدت المطابع ترجمة أندريا الباجو ، ونشرت النص العربى في رومة ١٥٩٣ ) وللرازى الأسرار في الكيمياء ( ١٤٨٠ - ١٤٨٩ ) والمنصورى ، ثم العقاقير ليحيى بن سرايون ( البندقية ١٤٧٩ و ١٤٩٧ و ١٥٣٠ و ١٥٥٠ ) والأدوية المركبة للكندى . وتفصيل الأزمان ومصالح الأبدان ، وعلق عليه بالعربية ، والأنواء ، وكلاهما للأسقف ربيع بن زيد . وللزهراوى الجراحة من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ( وقد نشر متنا وترجمة ، في جزأين ، البندقية ١٤٩٧ ، وبال ١٥٤١ ، وأكسفورد ١٧٧٨ ) والأدوية المفردة لابن الوافد ، وبضعة كتب لأبقراط ، وعلى بن رضوان . وفي الرياضيات والفلك : علم الفلك وأصول الهندسة لأقليدس ، وقسمة الزاوية لابن موسى ، وبمعاونة يوحنا الأشيبلى : المدخل إلى علم هيئة الأفلاك للفرغانى ( ١١٣٥ ) والموجز في الفلك للفرغانى ( ١١٤٢ ) ووحده : رسالة في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمى فقد أصلها العربى ، وسلمت ترجمتها باللاتينية ( وقد نشرت في تاريخ العلوم والرياضة في إيطاليا ) وكتاب المحسطى ( البندقية ١٥١٥ ) وكتاب الهيئة في إصلاح المحسطى ( نورمبرج ١٥٣٤ ) والشفق لابن الهيثم ( لشبونة ١٥٤٢ ) وتسعة كتب في الفلك لجابر بن أفلح ، والزيج الطليطلى ، وكتاب الأحجار الكريمة المنسوب إلى أرسطو ،

وميزان الذهب لثابت بن قره ، ورسائل لأحمد بن يوسف ، والنيريزي ، وأبي كامل ، وأبي عثمان عريب بن سعد . وفي الطبيعيات والميكانيكا : للكندی ، وثابت بن قره ، وابن الهيثم . هذا عدا رسائل متفرقة لأرسطو وجالينوس وأبقراط وأقليدس وأرشميدس وسواهم ، وما خلا مصنفات له من أشهرها كتاب المراثيات ؛ كما أعيد من ترجماته الأولى طبع الأنواء لربيع بن زيد (باريس ١٨٣٨ - ١٨٦٥) ، ومقالة في الجبر (رومة ١٨٥١) ، وتعليق عبد الباقي على كتاب أقليدس العاشر (رومة ١٨٦٣ ، وليبيا ١٨٩٦) ، وتعليق النيريزي على الكعب العشرة الأولى لأقليدس (١٨٨٩) ، والموجز في الفلك للفرغاني (١٩١٠) .

### ميخائيل سكوت (١١٧٥ - ١٢٣٦) Michael Scot

أسكتلندي من الرهبانية البندكتية . تلقى العلم في أكسفورد ، ولما حاز من جامعة باريس لقب العالم الرياضي غادرها إلى بولونيا وظيفتة حيث أتقن العربية والعبرية ، وانكب على تصنيف أول مؤلف نفيس له هو خلاصة الفلسفة لابن سينا فأتمه عام ١٢١٠ ، وترجم تاريخ الحيوان لأرسطو من العربية في عشرة أجزاء ، وكتاب السماء والعالم لأرسطو بشرح ابن رشد ، وكتاب الهيئة للبطروجي (١٢١٧) ، ثم أغراه الإمبراطور فردريك الثاني بالذهاب إلى صقلية ، وأقامه منجماً في بلاطه ومشرفاً على مكتب الترجمة (١٢٢٠ - ١٢٣٦) ، فنقل مختصر كتاب الحيوان لابن سينا وأهداه إلى الإمبراطور وبعض كتب أرسطو وشرح ابن سينا عليها بمعاونة أندريا الباجو .

وفي سنة ١٢٣٠ تقدم إلى جامعة أكسفورد بترجمة مؤلفات أرسطو ، ثم صنف عدة كتب نفيسة ، وأتم ترجمات لشروح ابن رشد على ما كتبه أرسطو عن السماء والعالم والنفس ، (مجموعة كتب أرسطو ، بادوي ١٤٧٢) فذاعت فلسفة ابن رشد في أوروبا ، ونال سكوت منها ومن تأليفه في العلوم الحقيية : كأسس علم التنجيم ، والمدخل إلى علم التنجيم ، والأنواع ، الرية ، إلا أن مهارته جعلته فوقها ، وعلى حسن الصلة بفردريك الثاني والباباوات ، ولو أن دانتى جعل النار مثواه .

آثاره : كتاب علم النفس (١٤٧٧) ، ثم عرف بعنوان سر الأسرار) والمسألة الدقيقة عن طبيعة الشمس والقمر في علم السيمياء . ورواية ابن سينا لكتاب أرسطو في علم الحيوان (١٤٩٢) وكتاب في التنجيم ، وكتاب في العلاقة بين الصفات الخلقية والصفات الجسمانية ،

وكتابان في الكيمياء ، وذكر ثمانياً وعشرين طريقة للتنبؤ بالغيب . وقد ترجمت جميعها إلى عدة لغات ، هذا ما عدا دراسات خطية لمّا تطبع .

### ليوناردو فيوناتشي (١١٧٠ - ١٢٤١) Leonardo Fibonacci

من بيزا ، عاش مع والده ، وكان مديراً لإحدى المؤسسات التجارية في الجزائر ، حيث تعلم العربية على أستاذ مسلم ، ثم طوف في مصر ولبنان وسوريا واليونان وصقلية ، فأنتج رياضيات أرشميدس ، وأقليدس ، وهيرون ، وديوفانتوس ، وصنف كتاب العدد (١٢٠٢) وهو أول عرض مُستوفٍ للأرقام الهندية ، وللصفر ، وللطريقة العشرية يقوم به مؤلف أوربي . ثم كتاباً في الهندسة التطبيقية (١٢٢٠) مستخدماً لأول مرة في أوروبا الجبر في حل النظريات الهندسية ، ثم صنف رسالتين (١٢٢٥) لفردريك الثاني لحل معادلات الدرجة الأولى والثانية (وقد أصدر الأمير بونكومباني طبعة كاملة لمصنفات فيوناتشي ، رومة ١٨٥٧ - ٦٢) .

### توماس هيرنيكوس (المتوفى في عام ١٢٦٩) Thomas Hibernicus

آرلندي درس في باريس وسافر إلى جنوبي إيطاليا حيث تعلم العربية والعبرية وعلمها في مدارس الرهبان .

### توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤) Thomas d'Aquin

ولد في قصر روكاسيكا بمدينة أكويني من أسرة ألمانية شريفة ، وتعلم في دير مونتني كاسينو للربان البندكيين (١٢٣٠) حتى احتله فردريك الثاني وطرد رهبانه (١٢٣٩) ، وأعاد توما إلى قصر أبيه فالتحق بجامعة نابولي - وكان طلابها مقبلين على ترجمات ميخائيل سكوت باللاتينية لفلسفة ابن رشد وترجماتها بالعبرية ليعقوب الأناضولي ، وعلى شروح بطرس الآيرلندي المتعصب لأرسطو ، فتموج عقولهم بالمؤثرات اليونانية والعربية والعبرية - وتعرف توما إلى الرهبان الدومينيكيين (١٢٤٤) ، وقرر لانخراط في سلكهم لانصرفهم إلى العلم والتعليم العالي في أشهر العواصم ، فخبب بقراره آمال أسرته في رياسة دير مونتني كاسينو ، فسجته في القصر سنة كاملة . ولما أطلقت سراحه أرسله رؤساؤه إلى باريس (١٢٤٥) في طلب العلم فأخذه على ألب الكبير . وأعجب الأستاذ بتلميذه فصحبه إلى دير كلوني وسهر على

تعليمه ، ثم صرفه إلى جامعة باريس للتدريس ، فباشره فيها بتفسير الكتاب ( ١٢٥٢ - ٥٤ ) وشروح عن آراء المعلم اللومباردى أسقف باريس ( ١١٥٩ ) وصاحب كتاب جوامع الكلم الذي اتخذته الجامعة نموذجاً لحل المسائل الفقهية والفلسفية ( ١٢٥٤ - ٥٦ ) فأجمع طلابه وزملاؤه - على الرغم مما كان بينه وبين الآخرين من خلاف ولا سيما الرهبان الفرنسيين الذين كانوا يسلكون إلى معرفة الله طريق الصوفية ، فصدتهم فلسفته العقلية - على الإعجاب به حتى إن المحاضرات كانت تتوقف في الجامعة لإقبال أساتذتها وطلابها على محاضراته ، وقد أحرز لقب أستاذ في اللاهوت ( ١٢٥٦ ) .

واستدعى إلى رومة ( ١٢٥٩ ) ، وتولى إلقاء المحاضرات في مدرسة البلاط البابوي زهاء عشرين سنين ، واجتمع هو وأستاذه ألبر الكبير ، وهو في ذروة من النضج ، وولم دى مريكا كبير المترجمين عن اليونانية ؛ فطفق ولهم يترجم أرسطو وتوما يفسره على ضوء ترجماته وشروحه المنقولة من العربية ، ثم بدأ بتصنيف أشهر مصنفاته .

ولما نفشت الرشدية في باريس ، وكانت مشبوهة في نظر الكنيسة - استدعى ألبر الكبير لناهضتها ، فاعتذر بصحته ، وأوفد عنه توما ، فراح يناضل أبناء الكنيسة وقد انقسموا إلى فريقين على جبهتين : فيدافع عن أرسطو لاجباً به بل خشية من ابن رشد ، ويصد في الوقت نفسه هجمات زملائه الرهبان الذين لا يأخذون بالعقل حتى انتصر على الرشدية انتصاراً أدى إلى تحريمها ( ١٢٧٠ ) ، ثم تكرر حرمانها مراراً فعكف على التأليف ، ثم استدعاه دوق أنجو ( ١٢٧٢ ) لتنظيم جامعة نابولي ، ولكنه ما لبث أن انقطع عن التدريس ( ١٢٧٣ ) وفيما كان قاصداً ليون لحضوره بجمعها واقاه أجله ( ١٢٧٤ ) وقد عدت الكنيسة ٢١٩ قضية من قضاياها الفلسفية خروجاً على الدين ( ١٢٧٧ ) ، ثم أعلنت قداسته ( ١٣٢٣ ) ، فأضحى أكبر فلاسفتها ، وما زالت فلسفته أساس الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية حتى اليوم .

آثاره : خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين في أربعة مجلدات ( ١٢٦٧ - ٧٣ ) ، وتفسير لما بعد الطبيعة ، ووحده العقل ، وأزلية العالم ، ومجموعة الردود على الخوارج . وقد طبع من مصنفاته عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير اعترف فيها صراحة باقتباسه عن ابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، وإسحق الإسرائيلي ، وابن جبيرول ، وابن ميمون ، ونقل بعضها إلى العربية اللبانيون : يوحنا فهد ، والمطران نعمة الله أبوكرم ، والمطران يولس عواد ناقل الخلاصة اللاهوتية ( بيروت ١٨٨٧ - ١٩٠٨ ) .

**بونا فتورا ( ١٢٢١ - ١٢٧٤ ) Bonaventura**

ولد في بانياريا من أعمال توسكانا ، وانخرط في سلك الرهبنة الفرنسيسكانية ، وأصبح رئيساً عاماً لها ثم كردينالا ، وصيدوباً للبابا في مجمع ليون ، وقد قرأ الترجمات العربية للفلسفة ، وصنف فيها كتباً نفيسة عد بها من كبار الفلاسفة وأئمة الكنيسة .

**ألبر الكبير ( ١٢٠٦ - ١٢٨٠ ) Albert le Grand**

من أسرة ألمانية شريفة ، دومينيكي الرهبانية ، تلقى العلم في جامعة بادوي ، ودير كلوني ، وستراسبورج ، وباريس حيث تخرج من جامعتها ، وطار له صيت بتدريس الفلسفة واللاهوت فيها ، وعد كبير الأساتذة الدومينيكيين ، وعليه أخذ توما الأكويني - وقد قبل لولا ألبرما وجد توما - فاستدعاه رئيس أساقفة ألمانيا وسامه أسقفاً على ريجنزبرج ( ١٢٦٠ ) ، ثم ترك منصبه ، ليتوفر على دراسة كنوز الثقافة الوثنية والعربية واليهودية والمسيحية ، فأدهش معاصريه بسعة علمه ولقبوه دكتوراً عاماً . ثم سافر في بحر الشمال ، وزار مختبرات التجارب ، وكتب عنها وصنف كتاباً ضخماً في حيوان ألمانيا ، وسبعة كتب في الحضر والنبات ، فعد أعظم علماء التاريخ الطبيعي في عصره . أما في الفلسفة فقد اقتبس عن الفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، واستعان بشروح ابن رشد<sup>(٢٦)</sup> بالرغم من نقده إياه وابن ميمون . وألف كتاباً كبيراً طبع بعنوان : تفاصيل في الفلسفة وقضايا فلسفية ولاهوتية ( ١٤٧٣ ) ، ثم تولى طبعه في القرن السادس عشر) .

**رايموندو مارتيني ( ١٢٣٠ - ١٢٨٤ ) R. Martini**

من الرهبانية الدومينيكية ، وفي طليعة العشرين راهباً الذين أتقنوا العربية منهم ، وعلمها في تونس ، وكان يحسن العبرية والكلدانية واليونانية . وقد تبحر في القرآن ، وحفظ صحيحى مسلم والبخارى .

آثاره : خنجر الإيمان ، وهو كتاب في الرد على المسلمين واليهود ، اعتمد فيه على حجج الغزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة المشائين ، وقد شاع أصله العربي وترجمته اللاتينية ، وظل

طوال قرون نموذجاً رقيقاً للجدل الديني بين فقهاء المسيحية والإسلام واليهودية (باريس ١٦٥١).

**جوفروا (اشهر عام ١٢٩٠) Jofroi**

آرلندي ترجم من اللاتينية واليونانية والعربية إلى الفرنسية ترجمته النص العربي لسر الأسرار المنسوب إلى أرسطو باللاتينية .

**روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٢) Roger Bacon**

إنجليزي تلقى العلم في أكسفورد ، وباريس (١٢٤٠) حيث نال الدكتوراه في اللاهوت . ودرس الطب ، ولما شرع يكتب رسالة فيه اضطر إلى السفر إلى إيطاليا بحثاً عن مظانه في المصنفات العربية ، وتعلماً لليونانية ؛ ثم عاد إلى أكسفورد (١٢٥١) فعمل فيها ، وأنفق ألى جنبه على اقتناء الكتب والآلات ، واستأجر اليهود ؛ ليعلموه وطلابه العربية ويعاونه على قراءة التوراة بنصها ؛ ثم انضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية (١٢٥٥) ، ولكنه فصل من التدريس لتعرضه للرهبان ، وسجن حتى أنقذه صديقه البابا إكليمنضس الرابع ، ودعا ليكون إلى تشجيع تدريس اللغات الشرقية في جامعات أوروبا لأغراض علمية صرف ، فلبى دعوته رؤساء أكسفورد الفرنسيسكانيون : روبرت جروسستيس ، وتوماس أوف ويلز ، وآدم أوف مارش ؛ ووعدته بتحقيق أمنيته البابا إكليمنضس الرابع - الذي كتب إلى بيكون في إرسال نسخة من مصنفاته سراً وعاجلاً ، فأجمل موسوعته في الكتاب الأكبر ثم الأصغر ، وأرفقها بدراسة في تضاعف الرؤية وخلاصة آرائه هي الكتاب الرابع ، فبلغت البابا بعد وفاته (١٢٦٨) ، وأولع بعلوم الرياضيات والفلك والكيمياء ، وأكب على كتب بطليموس وابن الهيثم والرازي ، فإذا نتيجة دراسته اختراع المجهر ، ومادة تشتعل في الماء ، ونوع من البارود ، وتنبؤه بالطيران ، ووضع قاعدة لصنع المتفجرات ، فلقب بدكتور المعجزات وسجن مرة أخرى . وقد اعتمد في فلسفته على ابن سينا الذي وصفه بأنه عميد الفلسفة بعد أرسطو ، وعلى ابن جبيرول ، وإسحق الإسرائيلي ، وغيرهم ؛ وأحدث في تفسير اللاهوت بدعاً سجن بها (١٢٧٧) ، ولكنه عد من كبار الفلاسفة .

**آثاره :** صنف رسائل في النحو ، والمنطق ، والرياضيات ، والهيئة ، والموسيقى ، والبصريات ، والتنجيم ، والكيمياء ، والطب ، والعلوم التجريبية والزراعة ، وغيرها . من

أشهرها : رسائل في العدسات المحرقة ، وفي طاقة الاختراع والطبيعة العجيبة ، وفي تقدير الحوادث الطبيعية ( ١٢٥٧ - ١٢٦٦ ) والكتاب الأكبر في أربعة مجلدات ؛ وما زال الإقبال عليه شديداً حتى اليوم ، ومختصره ( ١٢٦٨ ) وموجز الدراسات الفلسفية ( ١٢٧١ ) ، وموجز الدراسات اللاهوتية ( ١٢٩٠ ) ؛ كما ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء ( نورمبرج ١٥٢١ ) وسر الأسرار ( وقد نشر الترجمة ستيل في أكسفورد ١٩٢٠ ) ، وانتقد ترجمة ساراشل كتاب النبات لأرسطو . وللأب بويج اليسوعي دراسة بعنوان : هل قرأ بيكون كتب العرب ؟ ( محفوظات التاريخ العقائدي والأدبي ١٩٣٠ ) .

#### ألفرد دي ساراشل (أوائل القرن الثالث عشر) Alfred de Sarashel

آثاره : ترجم رسائل كثيرة في الكيمياء ، وكتاب النبات المنحول لأرسطو ( الذي نقله حنين بن إسحق ، ونقحه ثابت بن قرّة ) والشفاء لابن سينا ( ١٢٠٠ ) ؛ كما صنف عدة كتب ظهر فيها التأثير العربي واضحاً جلياً .

#### أرنولد الفيلائوفى ( ١٢٣٥ - ١٣١١ ) A. Villeneuve

ولد في ضواحي بلنسية ، وتعلم اللغات العربية والعبرية واليونانية ، وتخرج في الطب من جامعة نابولي ، وعلمه في باريس ومونبلييه وبرشلونة ورومة ، ثم عين طبيباً لملك أراغون ، ولطالما حذره بقوله : إن لم تحم الفقراء من الأغنياء فسوف يلقي بك في الجحيم ! فلم يفضب الملك عليه ؛ وإنما كان يسفره في كثير من البعثات . وأنذر البابا بونيفاس بخواب الكنيسة إن لم تصلح أحوالها ، ولما شفاه أهدى له قصراً في أنباني ، ورمى بالسحر والإلحاد ، فطارده محكمة التفتيش ، ولكن الباباوات والملوك دافعوا عنه ، وحموه منها حتى غرق في سفارة من قبل ملك أراغون إلى البابا اكليمينتس الخامس .

صنف أرنولد كتباً وافرة في الطب ، والكيمياء ، والتنجم ، والسحر ، واللاهوت ، وعصر النبذ ، وتفسير الأحلام متأثراً بالعربية ؛ وترجم كتاب الأسرار في الكيمياء للرازي وثلاثة كتب لجالينوس ، وخمسة للكندي في معرفة قوى الأدوية المركبة ، ورسائل قسطا بن لوقا ، وابن سينا ، وأبي العلاء زهر ، وكتاب الصيدلة لأبي الصلت الداني .

### رايموندو لوليو ( ١٢٣٥ - ١٣١٤ ) R. Lulio

من أغرب شخصيات العصر الوسيط المتعددي المواهب ، فهو شاعر وقصصى ورياضي ومعلم ومبشر ومتصوف ورحالة . ولد في بالما من جزيرة ميورقة ، وقضى في تعلم العربية وحفظ القرآن - على عبد أسود - والقطلونية تسع سنوات ( ١٢٦٦ - ١٢٧٥ ) ، ثم قصد باريس ، وانضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية ؛ وأقنع ملك أراغون ( ١٢٧٦ ) بإنشاء مدرسة لها في ميرامار لتدريس العربية ، وأشرف بنفسه عليها ، فتخرج منها بالعربية أكثر من ١٣ راهباً ، ولكنها نجحت بصعوبة مدة ٣٥ سنة . وقد مهد بها إلى إنشاء معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ومراكز الثقافة الإسبانية في الشرق ؛ وصنف في أثناء ذلك كتب جدل كثيرة في الرد على المسلمين واليهود ؛ وعلم في أديار مختلفة ، ثم أخذ بالصوفية فأبحر إلى تونس ( ١٢٩١ ) حيث عرف بالصوفي النصراني ، وطلق يطوف فيها فقيراً واعظاً ، فاعتقل وسجن ثم طرد . وبلغ نابولي ( ١٢٩٣ ) وبذل قصارى جهده ( ١٢٩٤ - ١٣٠٠ ) لإثارة اهتمام الكنيسة والملوك بتعلم اللغات الشرقية في جامعات أوروبا ، فأخفق إخفاقة في قبرص ( ١٣٠٠ ) وليون ( ١٣٠٥ ) فحول وجهه شطر بوجي من أعمال الجزائر ( ١٣٠٦ ) مبشراً ، فلم يكن فيها أوفر حظاً منه في تونس ، فسجن ستة أشهر ثم طرد ، وفي عودته استقر بساحل بيزا (كانون الثاني - يناير ١٣٠٧ ) وحارب فلسفة ابن رشد في باريس ( ١٣٠٩ - ١٣١١ ) وحضر مؤتمر فيينا ( ١٣١١ - ١٣١٢ ) حيث شاهد مساعيه تكليل بالنجاح ؛ إذ أقر البابا أكليمينفس الخامس إنشاء الكراسى للعبرية والعربية والكلدانية في أربع الجامعات الرئيسية بأوروبا وهي : باريس ، وأكسفورد ، وبولونيا ، وصلمنكة ، ثم في جامعة خامسة بالبلاط البابوي . مع تنصيب أستاذين لكل من هذه اللغات الثلاث في كل كرسى ، وتكليفهم بترجمة نصوص عبرية وعربية وكلدانية للرد على متقدي الدين . وقد ظل هذا القرار أصلاً من أصول القانون الكنسي أكثر من خمسمائة عام .

ورجع رايموندو لوليو إلى شمالي أفريقيا وقتل فيها ( ١٣١٤ ) ، وقد عرف لوليو من المتصوفين المسلمين : ابن سبعين ، وابن هود ، والششترى ، وابن مدين ، وعفيف التلمساني ؛ وشقف بابن عربي ، وتأثر بهم في ابتداء مذهب الإشراق تأثره بكليلة ودمنة في مصنفه : الكتاب السعيد في عجائب الدنيا .

أما من حيث الفلسفة فقد أخذ بالأفلاطونية الحديثة ، ولكنه تميز عنها بطابعه الخاص

وبمعارضته للرشدية ، كما أفاد من ترجمة أرنولد الفيلاونوفى كتاب سر الأسرار للرازى ، واشتهر بفنه الذى عرفته أوروبا بالفن اللولوى الكبير ، واقتبس منه بعد ثلاثة قرون أثنائوم كيرخر ، وأعجب به الفيلسوف الألمانى لينش .

آثاره : منوعة وافرة أربت على المئات ، أشهرها : تأملات فى الله ، وهى موسوعة فى علوم الدين كتب القسم الأكبر منها بالعربية ثم نقلها وأتمها بالقطلوونية ( ١٢٧٢ ) ، وحرب الفروسية ( ١٢٧٤ ) ، وعقائد الشباب ( ١٢٧٤ ) والحكام الثلاثة ، وفيه يعرض يهودى ومسيحى ومسلم فضائل الدين الذى يعتنقه ( ميورقة ١٢٧٥ ) والصدىق والمحبوب كتبه على الطريقة الصوفية ( شمالى أفريقيا ١٢٨٣ ) والترتوى والنصرانى ، وبلانكرنا ، وهى رواية دينية طواها على قصص رحلاته فى بلاد الإسلام حتى السودان ، وقد عدت من روائع الأدب فى العصر الوسيط ( مونبلييه ١٢٨٣ ) ، والكتاب السعيد فى عجائب الدنيا ، وهو قصة خيالية تشتمل على قسم خاص بالحيوان ( ١٢٨٦ ) ، وكتاب الفن الكبير ( باريس ١٢٨٩ ) ، والفن هو حقيقة مبتدعة وقد نقل إلى العربية ( ١٢٩١ ) وشجرة العلم ( ١٢٩٦ ) والأراضى المقدسة ( ١٣٠٩ ) والردود على ابن رشد ، وكان يوقعها بتوقيع واهم ، ( ١٣٠٩ - ١٣١١ ) والتعاون بين النصرارى والمسلمين ( ميورقة ١٣١٢ ) ، وصنف بالعربية : الكندى فى التأليف ، ومناظرات بين رايوندى المسيحى وعمر العربى فى بوجى ، ثم ترجمه إلى اللاتينية عام ١٣٠٨ ، ونشر فى مانتي صفحة ( بلنسية ١٥١٠ ) .

وقد نشر مجموعة مؤلفاته سلسينجر فى عشرة مجلدات ( ماينس ١٧٣١ - ١٧٤٢ ) وكان زنسرد قد طبع مجموعة مؤلفاته للفن الكبير مزدانة بالرسوم ( ١٥٩٨ ) ، وأعيد طبعها ١٧٠٩ - ١٧١٩ ) ثم صنف عنه : هالفريخ ( برلين ١٨٥٨ ) وكنجر ( مونستر ١٩٠٩ ) وبرويست ( تولوز ١٩١٤ ) وريبيرا فى كتاب مباحث ورسائل ( مدريد ١٩٢٨ ) والأب أوجين قر القرنسيسكانى ( الدراسات اللولوية ، ميورقة ١٩٥٧ ، والقاهرة ١٩٦١ ) .

#### تورميدا ( ١٣٥٢ - ١٤٣٢ ) A. Turmeda

ولد فى ميورقة ، وتلقى علومه فى إيطاليا ، وانضم إلى الرهبنة الفرنسيسكانية ، ورحل إلى تونس حيث أسلم على يد السلطان أحمد بن أبى بكر الحفصى ، وتسمى بعبد الله بن على . واشتغل ترجاناً ، ثم ولاه السلاطين المكومس ؛ ولا يزال قبره داخل باب المنارة .

آثاره : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب معتمداً فيه على آراء ابن حزم (١٤٢٠) ، ( وقد رد عليه أسين بلاثيوس ) ، والتعاليم الصالحة وضعه بالقطلوونية ، ورباعيات مملكة ميورقة ، وكتاب النبوات ، ومجادلة الحمار (١٤١٧) مستنداً فيه إلى رسائل إخوان الصفا كبه بالقطلوونية ، ثم ترجم أربع مرات إلى الفرنسية ، ومرة إلى الألمانية ، ونشر في المجلة الإسبانية (مجلد ٢٤ ، عام ١٩١١) .

### الأسقف جويستينيانى (المولود عام ١٤٧٠) Guistiniani, Aug

ولد في جنوى من أسرة نبيلة أحسنت تربيته ، ولما بلغ الرابعة عشرة قرر الانضمام إلى رهبانية الإخوة المبشرين ، فصرفته أسرته عنها برحلة إلى بلنسية حيث تعلم اللغة العربية ، وبعد عودته انخرط في سلك الرهبانية الدومينيكية (١٤٨٨) ، وتابع دراسة اللغات الشرقية ، ثم درّس في معاهد رهبانيته ، واتصل بأعلام عصره من المستشرقين أمثال : أراسموس ، والسير توماس مور ؛ وأنفق ثروته على جمع المخطوطات العربية والعبرية والكلدانية حتى إذا رقاها البابا ليون العاشر إلى أسقفية نيبو Nebbio (آب - أغسطس ١٥١٦) أهدى له كتاب المزامير بخمس لغات هي : العربية والكلدانية واليونانية واللاتينية والعبرية ؛ وضمنه حواشى وشروحاً وافرة (فانو ١٥١٦) ، وصحح ترجمة دليل الحائرين لموسى بن ميمون (باريس ١٥٢٠) .

### ليون الأفريقي (١٤٩٤ - ١٥٥٢) Leo Africanus

هو الحسن بن محمد الوزان الفاسى ، ولد في فاس ، وقيل في غرناطة ، وقام برحلات طويلة في أقطار الإسلام حتى غربى أفريقيا ، ودون مشاهداته في كتاب نفيس أنشأ فصوله في رومة ، وقد اتخذها مقراً له بعد وقوعه في أسر قراصنة البحر المسيحيين (١٥٢٠) ، وتسمى بجيوقافى ليونى نسبة إلى البابا ليون العاشر الذى أظله بجايته ، ولكنه اشتهر بابون الأفريقى ، ثم رجع إلى تونس (١٥٥٠) وتوفى في حمى دينه .

آثاره : المعجم العربى العبرى اللاتينى (ما زال مخطوطاً في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٥٩٨) وكتاب وصف أفريقيا (١٥٢٦) بدأه بالعربية ، ثم أمه بالإيطالية ، وظل مدة المرجع الوحيد لدراسة السودان (البندقية ١٥٥٠ والطبعة التاسعة ١٨٣٧ وترجمة فرنسية في أنفر ، ١٥٥٦ و ٩٩ و ١٦٣٢ ، وترجمة جديدة في ليون ١٥٦٦ ، ثم ترجمه إلى الفرنسية جان فامبورال ، باريس ١٨٣٠ ، وشيفر ١٨٩٦ ، وترجمه بورى إلى الإنجليزية ، لندن ١٦٠٠ ،

ثم ترجمه براون ، في ثلاثة أجزاء ، بشروح ضافية ، لندن ١٨٩٦ ، وترجمه لورسباخ عن الإيطالية إلى الألمانية هربون (١٨٠٥) ولما سينيون كتاب المغرب في السنوات الأولى من القرن السادس عشر نقلاً عن ليون الأفريقي (الجزائر ١٩٠٦) ورسالة في القياس المسطح (نشرتها إنجيلا كوداتري في تكريم دلافيدا ١٩٥٦) وكتاب في التراجم (١٥٢٧) ثم نشر في مجموعة هوتنجر ، في زيورخ (١٦٦٤) .

#### ٧- من الحملات الصليبية :

وبين حربٍ وسلم تزوج الصليبيون بنات نصارى المشرق لقلعة النساء فيهم ، وعقدوا مع المسلمين اتفاقات لحماية الصيادين وتأمين التجار والمسافرين ، وآثروا الأطباء المسلمين ، واتمنوا صناعات وفلاحين منهم على أعمالهم ، وصلوا في مزاراتهم ، واستغاثوا بهم في خصوماتهم الخاصة ؛ كما كان المسلمون يستجدون الصليبيين على إخوانهم في نزاعهم معهم .

وتزيا الصليبيون بأزياء المسلمين من عمامة وقفطان ، وشادوا بيوتهم على غرارهم ، وأكلوا التوابل والسكر مثلهم ، واتخذوا البواشق والخيول وكلاب الصيد لقتصمهم ، ونقلوا عنهم : اصطناع التشابه المصلية ، وتقلد الدروع والحجبة العسكرية ، وشارات الفرسان والأوسمة ، والطنبور في الموسيقى العسكرية ، وحمام الزاجل لنقل أخبارهم ، وإشعال النار احتفالاً بالظفر ، وحفلات السيف ورمي الجريد ؛ وأضافوا في الممار - الطراز الشامي البيزنطي إلى النمط القوطي : أى الشرق المحور في بناء أديارهم وكنائسهم وقصورهم وفنادقهم وحماماتهم وأثوثها بالرياش الشرق .

وجلب الصليبيون معهم - ولا سيما من إيطاليا ونورمانديا - هندسة البناء الحرفي ، وما زالت حصونهم قائمة حتى اليوم ، ومن أشهرها : حصن الأكراد ، والمربق ، وشقيف أرنون ، وأقسام من كنيسة القيامة ، وكنيسة القديس يوحنا في بيروت (١١١٠) ، وبرجان على باب ياقا رفعها المهندس الذي بنى كنيسة سيدة باريس - بنيت على مراحل من ١١٦٣ إلى ١٢٣٠ - في حملة الملك لويس التاسع . وخلف الصليبيون ضرباً من نظام الإقطاع ، وأنواعاً من السلاح والذخيرة والسفن وفنون الملاحة ، وأسماء القرى كسنجل والرينة في فلسطين ، وبعض الأديار والشعائر الدينية المسيحية ، وألقاب أمرهم التي حورت على أيام حفدتهم ، ومنها : البرنس نسبة إلى أمراء تولوز ، ودريان إلى الكونت دى ريان ، وصوايا إلى

الكونت سافوى<sup>(٢٧)</sup> ، وفرنجية ، وصلبي ، والدويهي ، وبردويل .

ولما أجلي الصليبيون عن الشرق حملوا معهم إلى أوروبا : طرازاً جديداً من النواعير اقتبسه الألمان عن نهر العاصي ، والزنجبيل ، وقصب السكر ، والتوت ، والحلي ، والمساحيق ، والأصباغ ؛ فعرفت بأسمائها العربية : آزير - أزرق . وللاك - ليلكي ، وسافران - زعفران . والأنسجة : دمشق ، وموصل ، وغزى ، وغيرها .

ثم أتقنوا صناعتها فغزوا بها العالم ، وسار بعض الزهاد ( ١١٥٠ ) على سنة القديس باميل ، وانتشروا في فلسطين ، فلما سقطت في أيدي المسلمين هاجروا إلى قبرص وصقلية وفرنسا وإنجلترا ، ثم صدق البابا اينوسنت الثالث على قانونهم ، فعرفوا بالثالوثيين ، وكلفوا بافتداء المسيحيين الذين وقعوا في أيدي المسلمين . وكان هيلارى أسقف بواتيه ( المتوفى ٣٦٧ ) قد اقتبس من مفاه بلبتان بعض الترانيم الهليستينية ، ونقلها إلى اللاتينية ، فتأثرت من بعد بالشعر العربي والبروفنسى .

وأخذ الرهبان في الحملات الصليبية عن النصارى الشرقيين عبادة العذراء ، وصلاة السبحة ، وشعيرة طريق الصليب ؛ وكانت اللاتينية لغة رجال الدين والفرنسية لغة الأشراف ، والإيطالية لغة البحارة والتجار ، والسريانية لغة أهل الجبال . والعربية لغة التخاطب اليومية ، فحمل الصليبيون معهم الكتاب الملكي في الطب لعل بن عباس الذى نقله إسطفان الأنطاكي وهو من بيزا ( ١١٢٧ ) ترجمةً أصدق من ترجمة قسطنطين الأفرقي ، وأضاف إليه كشافاً يونانياً عربياً لاتينياً للمصطلحات التى استعملها ديوسقوريدس ( البندقية ١٤٩٢ وليون ١٥٢٣ ) وقصة كأس العشاء السرى ، وكليلة ودمنة ؛ وتأثر شوسر بألف ليلة وليلة . وبوكاتشيو بالحكايات الشرقية فى كتابه ديكامرون ، وعثر فيليب الطرابلسى فى أنطاكية ( ١٢٤٧ ) على مخطوط سر الأسرار بالعربية المنسوب خطأ إلى أرسطو ، فترجمه باللاتينية فأضحى أكثر المنقولات تداولاً فى العصر الوسيط .

وكان فى ذلك العهد ٤٤٦ شاعراً منهم أربعة ملوك : رتشارد الأول ، وفرديريك الثانى ، وألفونسو الثانى ، وبدور الثالث ؛ فاصطحب بعضهم الشعراء فى حملاتهم ؛ كبيار فيدال ( ١١٦٧ - ١٢١٥ ) ، ولم يفتخروا جميعاً بها ، بل خرج منهم من أشاد بنجاح حملة فرديريك المحروم ، وإخفاق حملة لويس القديس ؛ وهجا غيرهم رجال الدين ، وسخروا من الجحيم ، وسما ولتر فى نشيد الصليبيين فوق القتال ، فقال فيه : لكل الناس أم واحدة ،

والنصارى واليهود والمسلمون يعبدون الله ، والله ييسط رعايته على خلقه جميعاً .  
 وكان صلاح الدين الأيوبي بطل تلك الحملات ، فأرخ ابن العهاد الأصفهاني لفتح  
 القدس ، ودون سيرته بهاء الدين بن شداد نشرها شولتنس متناً وترجمة لاتينية (ليدن  
 ١٧٣٥) ، وأخذ عنها رينو في كتابه مختصر ماكتبه مؤرخو العرب عن حروب الصليبيين  
 (باريس ١٨٢٩) .

ونشأت بين فرسان الفرنجة والفارس أسامة بن منقذ (١٠٩٥ - ١١٨٨) صلات ودّ ،  
 وشارك في الحروب عليهم فوجد « أنهم بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير<sup>(٢٨)</sup> » . في  
 حين نقل الصليبيون إلى أوروبا : أن المسلمين قوم متحضرون كرماء أماناء .  
 واعترف خصوم صلاح الدين له بالشهامة والتبل ؛ فصنف غليوم الصورى (١١٣٠ -  
 ١١٩٠) وهو فرنسي الأصل ولد في فلسطين ، وعين مستشاراً لبودوين الرابع ، ثم أصبح كبير  
 أساقفة صور ، وكان يتقن الفرنسية واللاتينية والعربية ، صنف في الحملات الصليبية الأولى  
 تاريخاً بعنوان : حوادث ما وراء البحار (١١٨٤) ما زال مرجعاً ذكر فيه الحضارة الإسلامية  
 ذكراً ملؤه الإجلال والإعجاب . وأملى جوفروا دي فيلهاردوين (١١٥٠ - ١٢١٨) من  
 نبلاء فرنسا المقاتلين كتابه فتح القسطنطينية (١٢٠٧) ، وصنف ييار دييوا كتاباً في استرجاع  
 الأراضى المقدمة (١٣٠٦) ، ودون سيرة لويس التاسع ملك فرنسا جان سير دي جوانفيل  
 قيم القصر في شمبانيا وملازمه في حملته الصليبية (١٣٠٩) ، وأطنب في ذكر صلاح  
 الدين : ولترسكوت في قصة الطلمس ، ولسنج في نانان درفيزه وغيرهما كثير .  
 وقد نشر دي مالان ودي مينار مجموعة مؤرخى الصليبية متناً وترجمة فرنسية في ستة عشر  
 مجلداً اشتملت على نصوص من مؤرخى اللاتين واليونان والأرمن ، ومن العرب على ماكتبه  
 عنها : أبو الفداء ، وابن الأثير ، والعينى ، وابن شداد ، وابن الجوزى ، وابن العديم ،  
 وأبو شامة (باريس ١٨٧٠ - ١٨٩٤) ثم صدرت لها تتمه من حجم أصغر بعنوان : وثائق  
 خاصة بتاريخ الصليبيين .

#### ٨ - من الرحلات :

رسم بعض الرحالين والتجار الغربيين للشرق في أذهان قرائهم صورة غامضة غريبة  
 أو ناقصة مشوهة . وفي طليعتهم ماركو بولو الذى قضى في الشرقين الأدنى والأقصى عشرين

(٢٨) الاعتبار ، ص ١٣٢ ، وقد نقله إلى الإنجليزية الدكتور فيليب حتى (برنستون ١٩٣٠) .

سنة . ودون رحلته في جزأين ( أنفر ١٤٨٥ ) حشاهما بفرائب الثراء والأخلاق والأديان ، ثم صححها الراهب أوديريك البوردينوني بعد عودته من الهند والصين ( ١٣٢١ ) عن طريق التيب و فارس برحلة ممتعة ، ويليهما كتاب الكنوز وهو رحلة شاباي وفيها ضلالات ليس أقلها قوله : إن للشرقيين ثمانية أنامل ورأسين ! إلا أن ترهات هؤلاء وغيرهم لم تحل بين الغرب ورحيل المنصفين منه إلى الشرق : فزار فورير مصر ، وأحسن وصف بعض معالمها في كتابه الدليل ( ١٥٦٥ ) ، وطوف رودزيفيل بسوريا ولبنان وفلسطين ومصر ، وفصل الكثير من عادات أهلها وأخلاقهم وأحوال بلادهم ، واعترف لهم شاردن بأنهم شعب لطيف الأحدوثة خفيف الظل نابه مضياف ( باريس ١٦٨٦ ) .

ورأى دى لافال فيهم قوماً روحين قنوعين صوفيين يؤثرون الحياة الأخرى على الحياة الدنيا ، ولكن دى بروسولوس اتهمهم بأنهم واليهود سواء ، لا عهد تجارى لهم ولا ذمام فيهم ، فهم مراعون ، متقلبون ، انتهازيون ، يخفون جميع ذلك تحت برقع من السذاجة المصطنعة والكلم المعسول<sup>(٢٩)</sup> .

على أن المثقفين لم يأخذوا بتلك الأباطيل ، فردوها وحذروا منها ، فنعى فولتير على أولئك الرحالين والتجار اتخاذهم من شاذاً قانوناً وقياساً<sup>(٣٠)</sup> ، وحقق لوقا وصف بعض معالم مصر في رحلته . ( لاهاى ١٧٠٥ ) ، وتوافق على لبنان : لاكويان ، ودى روزال ، ودرفو ، ودى نواتيل ؛ ورجع برنار روجيه مبتيه بفسيطة من أرزه ( ١٧٣٧ ) غرسها في حديقة النبات بباريس ، وما زالت حتى اليوم ، وأطلق فولتير على رحلته : ثلاثة أعوام في مصر وور الشام ( ١٧٨٣ ) وجون كارن : رحلة إلى لبنان في القرن التاسع عشر ، وروبنسون : يوميات في لبنان : تاريخ وجغرافيا . وهنرى جيز : بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن . ولويس لورته : مشاهدات في لبنان .

ورحل شاتويريان إلى القدس وخلصها في كتابه : عبقرية المسيحية ( ١٨٠٢ ) ولا مارتين إلى لبنان ( ١٨٣٢ - ٣٣ ) واستعان في وصفه في أثناء رحلته إلى الشرق في مجلدين ( الطبعة الثانية ، ١٨٣٨ ) - بفتح الله الصائغ والمستشرقين ؛ ودى نرفال ( ١٨٥١ ) ورحلته أصدق وصف لحياة الشرق وأكثرها إنصافاً ولا سيما لمصر - قد وصف فيها الزواج القبلى ، والحرم ، وليالى رمضان ، والمحافل وغيرها - ( الطبعة الثانية في جزأين ١٩٢٩ ) ؛ ونزل رينان بدير

de Bruslous, Dictionnaire universel de commerce, 1723.  
Voltaire, Essai sur les moeurs Ch CXLII.

(٢٩)  
(٣٠)

الآباء اليسوعيين في غزير بلبنان حيث صنف كتابه : حياة يسوع ؛ ثم تتابع الرحالون الكتاب من أمثال : باريس ، وبوردو ، وتارو ، وبنوا ، ولوقى ، وليكونت ، وديهامل وغيرهم ؛ فخلدوا الشرق العربي بمصنفات نفيسة .

#### ٩ - من السفارات :

كانت دول الشرق تسفر إلى أوروبا وتستقبل سفراءها<sup>(٣١)</sup> ، إلا أن السفارات لم يتنظم أمرها وتعم دوله إلا بعد أن قويت شوكة الدولة العثمانية ، وبعثت فرنسا إليها أول سفير فوق العادة ، فأبرم معاهدة الامتيازات الأجنبية مع السلطان سليمان القانوني ( ١٥٣٥ ) ، وتشبهت بعض الدول الكبرى بها ، ثم تعددت سفاراتها إلى غيرها من بلدان الشرق ، وطفقت صحف فرنسا تذيب أخبار سفرائها لدى الباب العالي وأسرار قصوره ومغامرات حسانه ، فأغرت برحلات جديدة إلى الشرق أنصفتها مما أتمته به بعض الرحلات التي تقدمتها .

أما السفراء وملحقوهم الذين تخرجوا من مدارس اللغات الشرقية ، وبعثوا إلى الشرق وأقاموا فيه - فقد حققوا ما كتبوه في مواضعه ، وعاونوا على جمع مخطوطاته وتعلم لغاته وإنشاء المطابع لنشر مصنفاته وترجمة روائعه - منهم أندره دي رير قنصل فرنسا في مصر<sup>(٣٢)</sup> الذي ترجم القرآن ( ١٦٤٧ ) ثم تلتها ترجمة سافاري ( ١٧٨٣ ) إلخ ، فكانوا نواة طيبة للاستشراق العلماني .

واقبس بعضهم بطول إقامتهم بين الشرقيين بعض عاداتهم ، فلدخنا الأفيون والتارجيلة وشربوا القهوة<sup>(٣٣)</sup> . واعتنى غيرهم الإسلام وبلغ الوزارة ، ونال رفيع الألقاب كبونفال باشا وغيره كثير .

ومنهم من عاب على قومه نظرتهم الحاطئة إلى الشرق فعل الأب شوازي بعد عودته من سيام فقال : إنهم يحيطون بنا إحاطتهم بالديبة للفرج علينا ، حتى إن الملك نفسه لا يدع لنا من الوقت متسعاً للجواب على أسئلته كأننا خارجون من بلاد الأسرار !  
ومنهم من وقف عند حد سفارته ولم يتعداها كالرزيل الذي أسفره الملك لويس الرابع عشر إلى سلطان المغرب لفك الأسرى النصارى ( ١٦٣٠ ) ، بيد أن أشهر سفارة غربية في البلدان

(٣١) الفصل الثالث ، فوج الإسلام ، والفصل الخامس النهضة الاوربية .

Martino, L'O-rien. dans la lit. franc. XVII et au XVIII siècle, p 94.

(٣٢)

الشرقية كانت مغامرة الآنسة باتى كيتا التى أحببت تاجراً فارسياً فى باريس ، وصحبته إلى فارس حتى إذا توفى أعلنت نفسها سفيرة لفرنسا فى فارس ( ١٧٠٣ ) ، فجاءت مغامرتها موضوعاً فذاً لمجموعة من القصص والمسرحيات والأغاني .

واستبدلت أوروبا بسفرائها فى الشرق سفراء فى عواصمها : فاستقبلت باريس سفراء : تركيا ( ١٦٦٩ ) وسيام ( ١٦٨٤ ) وفارس ( ١٧١٥ ) ثم سفير الهند بعد سنوات . وقد ذكر عبد الرحمن بن زيدان استناداً إلى الكونت دى كاسترى رسائل مولاي إسماعيل صاحب المغرب إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، وجيمس ملك إنجلترا ، والدون كارلوس ملك إسبانيا ، وفيها من اللوم والتهديد الشيء الكثير ؛ مما يدل على اتصالات بين تلك الدول عن طريق السفارات .

وكان معظم سفراء الشرق فخوراً بنفسه محباً للترف ساعياً إلى الجاه : فى أزياء فاخرة ، وحلى من ذهب وemas ، وضروب طيب على مقاصف عامرة . حتى إذا قدم سفير على الملك ازدحم الناس فى الشوارع ، وتسابقت حسان القصر إلى الأروقة ليروا كيف يسير ويجلس ويشرب ويأكل ؟ ثم يسعوا إليه فى داره للتحدث معه وشرب قهوته . وكانت الحسان أكثر الناس أخذاً بجاه السفراء وإسراعاً إليهم وإفادة من سخائهم : فعرض سليمان سفير تركيا على إحداهن التسرى على الطريقة التركية . ولما لم تكن هذه العادة معروفة فى فرنسا فقد تحفظها حتى مغادرته باريس . وعلق رضا بك سفير فارس غيرها فأسلمت وتزوجها ورزقت منه وليداً .

وذاعت أنباء سفراء الشرق فى بلاط فرنسا وأسرارهم ومغامراتهم ، فعمد الأدباء إلى تسجيلها والنسج حولها والنظم فيها ، وبما قاله الشاعر رونييه : هلموا كباراً وصغاراً انظروا سفير دولة بنى عثمان ؛ فقد وصل من تركيا وجاءنا من بلاد العرب بالنوادر والطرائف ! ولم يكن الشاعر مبالغاً فى قوله ؛ فإن سليمان القانونى كان يبعث إلى ملوك أوروبا بهدايا لم يعرفوا لها شيئاً ؛ كالجوخ والدمقس والأرجوان والملابس الموشاة بالذهب وضروب من الطيب يتطيب الأمراء بها ؛ ليدفعوا عنهم نتن الجذفين (٣٣) .

وأقبل الأدباء على الشرق بأديانه وأبطاله وقصصه ، فجعلوها غذاء للمسرح الفرنسى قرناً

كاملاً ، وتأثر به كبارهم من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر ، ومن لم يكتب فيه عيباً عليه تفاعسه فعل فولتير بيوسيه .  
فهل اقتصرت الثقافة الإسلامية على أوروبا ؟

#### ١٠ - إلى الهند :

ولما كان الدين هو لب الحياة الدينية في الهند - فقد عنى الرهبان البوذيون بالعلوم التي تعاون عليه ، فازدهرت في الجزء الغربي من الهند وعلى إثر غزوة الإسكندر العمارة الفارسية والنحت اليوناني ، وقامت - بفضل تزوج جموع من السوريين واليونان والعراقيين في القرنين الأول والثاني للميلاد - ثقافة يونانية بكثيرة طول ثلاثمائة عام اشتملت على : علم الفلك لتحديد أيام الأعياد والقرايين ، وعلم الرياضيات لحساب عمليات الفلك المعقدة ؛ فكانت الأعداد والنظام العشري والصفر ، ثم تلتها علوم الكيمياء والطب ، ومتعدد الصناعات من مختلف المعادن .

وأسهم العرب الذين نزلوا بمليار ونشروا الإسلام بين أهلها - في شتى مرافق حياتها ، فروجوا تداول النقود العربية إلى جانب النقود اليونانية والصينية والتونسية والفارسية ، واخترعوا حروفاً خاصة لنطق بعض الألفاظ الدينية نطقاً صحيحاً منها : الرحمن ، والقرآن ، ومحمد ، والصلاة ، والصوم . . . إذ خلقت اللغة المليارية من حروف : ح ، ص ، ف ، الخ . . . خلو العربية من بعض الحروف المليارية ؛ وأدخلوا مفردات عربية وافرة في اللغة المليارية : كمنسب - المنصف ، وكرار - القرار ، وجكتان - الشيطان ، وكسى - القسط ، ورصيد - الرصيد . وقد اعترف الدستور الهندي بأربع عشرة لغة هندية عملية إحداها المليارية .

واحتفظوا بالعربية لغة بينهم ومن أغانيهم الشعبية في الزواج :

الله حسبي ، وهو نعم الوكيل الله

آمنة الزهرية أم خير عروس محمد

وأخرى ومطلعها :

طه طه رسول الله سموات بعلاها

فاه فاه فاه يوحى الله شافعنا محمد

واعتر المهنود بورود بعض مفردات لغتهم في القرآن الكريم - كمسك ، وكافور ،

وزنجبيل - وقد ترجم القرآن إلى السنديّة عبد الله بن عمر العراقي بأمر راجا مهروك ، ثمّ ترجم إلى الأردية في القرن التاسع عشر - وباستخدام اللغة العربية الكلمات الهندية الدالة على الأحجار الكريمة والمعادن والأفاوية والعقاقير والأصباغ والحيوان والطير ؛ كما دخلت كلمات عربية اللغات الهندية منها : صابون ، وجلد ، وقيص ، وحكم ، وطلاق ، وولدان .

ولئن لم يكن فاتحو الهند عرباً لقد دخلوا في الإسلام ، واقتبسوا منه حضارته وشجعوا على مزجها بثقافتها ، فاشتهر في بلاط محمود الغزنوي : الفردوسي الذي أهدى له الشاهنامه . ولما لم يجزل عطاه - وكان الغزنوي سنياً يؤثر العربية على الفارسية - هجاه وفر إلى بغداد ؛ والعتي ، والبيروني ؛ وقرب أكبر المؤرخين وأغدق على الشعراء وجعل الفارسية لغة بلاطه ، وأمر المترجمين فنقلوا إليها روائع الثقافة الهندية ، ورعى الموسيقى فاصطنعها المتصوفون في حلقاتهم ، وأطلقوا على آلتها أسماء فارسية ، مثل : الرباب والساوود والطوس ، وغيرها .

وشجع خلفاؤه الرسم والنحت ، فتطور الرسم في زمن جهان كير من الأشخاص إلى الطبيعة مناظرَ وحيواناً وطيراً ، واشتمل على تزيين الكتب السنسكريتية والفارسية والأردية والعربية ؛ واستدعى شاه جهان أساتذة النحت الإيطاليين لتعلم الهندو تطعيم المرمر بفسيفساء من الأحجار الكريمة .

أما التعليم فقد كان جله مدعاة للزينة والوجاهة ، ومما كتبه السلطان أورنجزيب إلى أستاذه في العربية قوله : كنت تتكبّ على تعليمي اللغة العربية قراءة وكتابة . والحق أني شاكر لك ما سببته لي من مضيقه لوقتي في لغة تتطلب اثني عشر عاماً لكي يجيدها الطالب .

على أن رعاية هؤلاء السلاطين لفن العارة لم يفقها رعاية ؛ فقد مزجوا بين التزيين الهندي والفارسي والشكل العربي وعهدوا بها إلى كبار المهندسين العالمين ، وجاءوا بمهرة الصانع من بغداد والآستانة وبلاد الشام ، فأقاموا في الهند مساجد وقصوراً لا مثيل لها في الشرق والغرب ، وأضرحه وحصوناً فريدة في نوعها ، أشهرها : منار قطب ، وضريح هميون ، ومسجد الجمعة ، ومسجد اللؤلؤة ، ومجموعات القصور التي شادها شاه جهان ، وفي أحدها عرش الطاوومس الشهر . ثمّ القبر الذي شيده شاه جهان لزوجته ممتاز محل . وقد وضع تصميمه ثلاثة من المهندسين : أستاذ عيسى الفارسي ، وجيرونيمو فيرونو الإيطالي ، وأوستن دي بورديو الفرنسي وأطلق عليه تاج محل .

وانحصرت الكتب في المعاهد الإسلامية من القرن الحادي عشر إلى أوائل الثالث عشر للميلاد في : الكشاف للزنجبيلي ، وعوارف المعارف للسهروردي ، ومقامات الحريري ،

وشاهنامة الفردوسي ، والقانون لابن سينا ، ثم اتسعت في نهاية القرن الرابع عشر لكتب : النحو والأدب والمنطق والتفسير والحديث والفقه والتصوف والطب .

ونشر الهنود : شرح القرآن للفيضي ، وآخر لعبد الحكيم ، وسلم العلوم لمحج الله ، والفتاوى للشيخ نظام ، وتحفة المجاهدين لزين الدين ، والجواهر لمحمد غوث .

وصنف شاه ولي الله كتاب حجة الله البالغة ، فعد من أمهات الكتب في الفلسفة الإسلامية . وألف إقبال بالإنجليزية تحديد التفكير الديني في الإسلام ، فبلغ به مبلغ إحياء العلوم للغزالي ، وحجة الله البالغة لشاه ولي الله .

وبلغت المدارس الإسلامية في الهند - خلا مدارس المساجد والزوايا ، وكراسي اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي سيفصلها الفصل الخاص بالاستشراق الإنجليزي - ١١٨ مدرسة . ومن أشهر مراكز التعليم الإسلامي :

دار العلوم ( ١٨٧٠ ) وفي مكتبها ١٠٠ ألف كتاب عربي وفارسي وأردى خلا مخطوطات القرآن النادرة ، وقد كتب أحدها في القرن الأول الهجري ، ويقوم أساتذتها بترجمة المؤلفات العربية والفارسية إلى الأردية .

جامعة عليجرة ( مدرسة ١٨٧٥ ، ثم تحولت إلى جامعة ١٨٨١ ) ، وتجمع بين المسلمين والهندوس ، وتسهم الحكومة في ميزانيتها .

مظاهر العلوم ( أواخر القرن التاسع عشر ) نعى بالشريعة ، وتضم مكتبها مجموعة نفيسة من الكتب العربية والفارسية والمخطوطات النادرة . الجامعة المليية الإسلامية ، والتعلم فيها بالأردية .

ندوة العلماء في لکنهو ، وهي مدرسة للعلوم الدينية والتاريخ باللغات المختلفة .

الجامعة العثمانية ( ١٩١٨ ) وقد ضمت إليها دائرة المعارف العثمانية ( المؤلفة عام ١٨٨٨ )

بفضل ريع وقف عليها ومنح الحكومة على يد نفر من العلماء بينهم المستشرقون ، لإحياء تراث الشرق باقتناء أمهات مصنفاته وتحقيقها ونشرها ، فجمعت عدداً وافراً من المخطوطات النادرة والأفلام المصغرة والترجمات الدقيقة في مكبات أوروبا وروسيا وإيران وتركيا والبلدان العربية والهند . وقد نشرت ، خلال سبعين سنة ١٧٠ كتاباً تؤلف في مجموعها ٣٧٠ مجلداً منها :

المنتظم لابن الجوزي ( ٦ مجلدات ) ، ومفتاح السعادة لطاشي كوير زاده ( ٣ مجلدات ) ،

وكتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ( ٣ مجلدات ) ، وجمهرة اللغة لابن دريد ( ٤ مجلدات ) ،

وكتاب المعير لابن ملكة البغدادي ( ٣ مجلدات ) ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم

النيسابورى ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ، والسنن الكبرى للبيهقى ( ١٠ مجلدات ) ، وكتر العمال لعلى المتقى ( ١٦ مجلداً ) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ( ١٢ مجلداً ) ، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ( ٩ مجلدات ) ، والتاريخ الكبير للإمام البخارى ( ٨ مجلدات ) ، ورسائل ابن عربى ( مجلدان ) ، ورسائل الفارابى وابن سينا وابن رشد وابن سنان وابن الهيثم وأبى نصر العراقى أستاذ البيرونى ؛ والأزمنة والأمكنة للمرزوقى ، وميزان الحكمة للخازن ؛ وتذكرة السامع لابن جماعة ، وتنقيح المناظر لكamal الدين الفارمى ، ومختارات فى الطب ( ٤ مجلدات ) ، وكتاب العمدة لابن القف ( مجلدان ) ، والجواهر فى معرفة الجواهر للبيرونى . ومن أحدث مطبوعاتها : صور الكواكب لبطليموس الإسكندرى ، بتحقيق أبى الحسين عبد الرحمن الصوفى ، وقد نشر لأول مرة من المخطوطات الملكية للأمير الفلكى أولوغ بيك بعد مضى عشرة قرون على وضعه ، والقانون المسعودى للبيرونى ، وقد ظل مخطوطاً طوال عشرة قرون . وكان الرياضيون الهنود والأوروبيون يتمنون نشره ، ولا سيما بعد أن نشر زخاوا كتاب البيرونى : الآثار الباقية فى القرون الخالية ، فنشرته الدائرة بعد أن أضافت إليه المجلدين الأول والثالث المكتشفين حديثاً وهما يضافان ثمانى مقالات . وكتاب الحاوى الكبير فى الطب للرازى ، وكان مخطوطه الأصل نادراً فاشتهر بترجمته إلى اللاتينية حتى وققت الدائرة إلى فيلم مصغر للمخطوط من كنيسة القديس لورنزو التابعة لها مكتبة الأسكوريال فى إسبانيا ، فحققته وقارنته بالمخطوطات الأخرى ، وباشرت نشره فى عدة مجلدات اشتمل الأول على أمراض الرأس والعينين ؛ كما نشرت الجزء الثانى من كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ، وذيله لقطب الدين اليونى البعلبكى ، وهو يعالج التاريخ الأوروى وفترة ما بعد الحروب الصليبية ( ٤ مجلدات ) .

#### مجلس الهند للروابط الثقافية بالعربية :

أسس مكتبة تضم ثمانية آلاف كتاب ، وأصدر ( ثقافة الهند ) وهى مجلة بالعربية تصدر أربع مرات فى السنة ( منذ ١٩٥٠ ) بلهى الجديدة ، واشترى حقوق الطبع لترجمات ستة كتب من عيون الأدب الهندى نقلها إلى العربية الشاعر وديع البستانى اللبناى .  
فإذا عدنا من الهند إلى الغرب حق لنا أن نسأل عما قدمه ليرد للشرق يده عنده فى نهضته ؟

## ١١ - النهضة العربية :

(١) كان نصارى لبنان قد عرفوا الغرب قبل الحملة الصليبية الأولى بأربعائة سنة (٣٤) ، ثم اتصلوا بملوكه وأسفروا إلى فرساي ، وعلموا وترجموا وحققوا في : إيطاليا وإسبانيا والنمسا وروسيا وغيرها ، ولا سيما في رومة مقر الفاتيكان .

وكما كان الفاتيكان أول من أرمى النهضة الأوربية على الثقافة العربية ووقد أتباعه - الذين عرفوا بالكاثوليك تمييزاً لهم من الأرثوذكس ، والبروتستانت - على الشرق العربي (١٢١٩) فقد كانوا أول من أدخل التراث الأوربي إليه لإرساء النهضة العربية عليه ، عن طريق مدارسهم ومطابعهم وصحفهم وجامعاتهم ومكباتهم ومستشفياتهم وجمعياتهم . .

وكان لذلك النشاط رد فعل لدى الأرثوذكس ، فرحل البطريرك مكاروريوس الحلبي إلى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا (١٦٥٣) ، وقد ترجم رحلته من العربية إلى الإنجليزية بلغور في مجلدين (لندن ١٨٣٤) وإلى الروسية اللواء جرجس مرقص الدمشقي (١٨٨٩) ثم أجمع الأرثوذكس العرب على انتخاب البطريرك دوماني العربي خلفاً للبطريرك اليوناني المتوفى (١٨٩٩) ، فتعربت الكنائس الأرثوذكسية في أنطاكية وتوابعها وأيدتها روسيا القيصرية ، وطفقت تنشئ المدارس العربية في الشرق الأدنى ، وخصصت مدرستي القاهرة وبيت جالا بتخريج المعلمين والمعلمات .

ولما وفدت الإرسالية البروتستانية على الشرق العربي استعانت بالمدارس لنشر مذهبها بين الكاثوليك والأرثوذكس العرب والأرمن ، فحرم البطريرك الماروني معاملتها ، ولجأ بطريرك الأرمن إلى الباب العالي في شأنها ، حتى إذا أصبحت طائفة وطنية نافست في إنشاء المدارس . ومما يروى عن فاندريك رئيس الرسالة الأمريكية قوله : إني سأنشئ مدرستين في تلك القرية ، فلما قيل له - إنها لا تحملها لصغرها - أجاب : سأكتفي بواحدة ، ولكن اليسوعيين سيلحقون بي لإنشاء الأخرى ؛ فشيدت في بيروت أول مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية (١٨٣٠) ومطبعة (١٨٣٤) والكلية السورية الإنجليزية (١٨٨٦) وقد تحولت فيما بعد إلى الجامعة الأمريكية ، ومكنت لها بالمكبات والمستشفيات والجمعيات والمجلات .

ولحقت البعثة العلمانية التي فصلت الدين عن الدولة في بلادها - بالبريين إلى الشرق العربي ، وزاحمت طوائفه بمدارسها .

ومما انجلى عنه نشاط الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت والعلمانيين - تعريب مذاهب الغرب وفنونه وآدابه وعلومه بلسان عربى مبين ، وقد استعانوا فيها بعلماء من العرب . والعناية بالعربية لغة وأدباً ، ومن هنا وجدت اللغة العربية موثلاً لها في المدارس الأجنبية والمدارس المسيحية الطائفية ، فانتشر تعلم الأدب العربى بين المسيحيين أكثر من انتشاره بين المسلمين<sup>(٣٥)</sup> ، وإصدار خليل الخورى أول صحيفة عربية باسم حديقة الأخبار ، ونهوض بطرس البستاني بأول دائرة معارف عربية ( ١٨٧٦ ) ، وقيام نهضة عربية في الفن والأدب والعلم والسياسة يطالب أصحابها بإصلاح شامل في الإمبراطورية العثمانية أو الانفصال عنها بتكوين دولة عربية مستقلة .

( ب ) وكانت حملة نابليون ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) أولى الحملات الغربية على مصر في تاريخها الحديث مجهزة ببعثة علمية قوامها علماء أعلام في كل ضرب من ضروب ثقافة ذلك العصر ، منها : الأثريون والمهندسون والأطباء والمؤرخون والمستشرقون والمترجمون اللبنانيون والمصريون والسوريون من أمثال : ميخائيل صباغ ( ١٧٨٠ - ١٨١٦ ) الذى اتصل بالمستشرقين : دى ساسى ، وكاترمير وعمل في المكتبة الوطنية بباريس ، وصنف مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام ، والرسالة التامة في كلام العامة ( نشرها توربيكه ، جوتنجن ١٨٦٦ ) . وإلياس يقطر من مصر ( ١٧٤٨ - ١٨٢١ ) أستاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ومصنف المعجم العربى الفرنسى ( حققه وزاد عليه أرمان كوسن دى برسفال ، باريس ١٨٢٩ ) ونقولا الترك ( ١٧٦٣ - ١٨٢٨ ) صاحب : حرب بونايرت مع النمسا ( باريس ١٨٠٧ ) وتملك جمهور فرنساوية ( نشر نصفه الأول - إيى دى جرانج ، متناً وترجمة ، باريس ١٨٣٩ ) وتاريخ أحمد باشا الجزائر ( مخطوط ) وديوان شعر ، وحوادث الزمان في جبل لبنان ( مخطوط ) . وروفاثيل زخور ( ١٧٥٧ - ١٨٣١ ) المولود في القاهرة من أصل حلبي ، وقد علم العربية في باريس ، ثم جعله محمد على مديراً لمطبعة بولاق ، فترجماً في مدرسة الطب ، وكان العضو الشرقى الوحيد في المجمع العلمى المصرى ، وترجم الكثير من الفرنسية والإيطالية بينها : قانون الصباغة في صناعة الحرير للبرور ، وقد أمر نابليون بتأليف المجمع العلمى المصرى ، وتأسيس مطبعة عربية - كان قد استصفاهما من الفاتيكان - لطبع تصريحاته وبلاغاته ومنشوراته ، وإصدار ثلاث صحف واحدة منها بالعربية ، وإنشاء مكتبة

(٣٥) ساطع الحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٣ .

ومتحف ومختبر (معمل) ومصنع ومرصد ومسرح ، ويسر للجميع الإطلاع عليها والإفادة منها .

ونشرت بعثته بحوث علمائها ورسومهم وخرائطهم في كتاب : وصف مصر ( ١٨٠٩ - ١٣ ) ثم حل شموليون رموز الكتابة الهيروغليفية بقراءته حجر رشيد ( ١٨٢٢ ) ، وألف لها أجروميه ومعجماً ( ١٨٣٢ ) ، فوضع أساس علم الآثار المصرية ، ومهد السبيل إلى العلماء للتنقيب عن عالم عظيم مفقود<sup>(٣٦)</sup> .

ولم يقتصر أثر تلك البعثة على حملة نابليون ، بل تجاوزها إلى العصور التي تلتها والدول التي تشيبت بها .

فكانت آخر الحلقات التي تلاقى فيها الشرق والغرب لقاء سيف ودينار واستعمار ! وكانت البعثات خاتمة الحلقات التي اتصل منها الشرق بالغرب في الفنون والآداب والعلوم ، فوفى الغرب بدينه الثقافي للشرق ، أما التراث العربي في الغرب فقد فصلناه في واحد وعشرين فصلاً تفصيلاً تناول ما استوعبه من : كراس ومكتبات ومتاحف ومطابع وجمعيات ومجلات ومجموعات ومؤتمرات وغيرها ، مع تراجم المستشرقين وتدوين آثارهم عنه وفضلهم فيه .

---

(٣٦) الفصل الأول : مهد الحضارة .